الراصد

www.alrased.net

سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٧١ ذي الحجة ١٤٣٨هـ



الفرق الضالة خطر متجدد

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

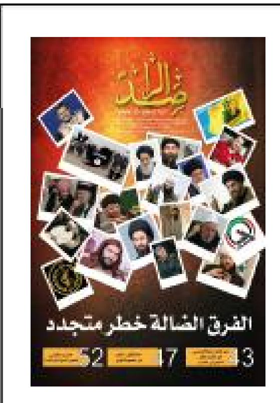
دراســـــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد (١٧١)
ذو الحجة (١٤٣٨هـ)

www.alrased.net
info@alrased.net

الفِرق الضالة.. خطرٌ متجددٌ

لا يزال التيار الإسلامي يقع في مطبّات متكررة! بسبب تنكّبه منهج العلم السليم والعمل؛ تبعًا للعواطف والظنون!

ولذلك من القواعد الكبرى التي أدركها السلف: ما عبّر عنه الحسن البصري بقوله: «العامل على غير علم كالسائر على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا يضر بترك العبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضر بترك العلم، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلّهم على ما فعلوا»، وهو هنا يعني: الخوارج.

وبسبب الحركة والعمل بدون علمٍ كافٍ أو علم صحيح اغترّ كثير من الناس بتنظيم القاعدة وأخواته كداعش؛ حيث أيدها وتعاطف معها قطاع واسع؛ اغترارًا بالشعارات البراقة والمواد الإعلامية الاحترافية؛ من الأناشيد، والاستعراضات العسكرية، في تغاضٍ عن محاكمة هذه التنظيمات لأفكارها الغالية والمتطرفة أو لواقعها الأسود في الكثير من البلاد، حتى سالت بسببها سيول من دماء الأبرياء والشرفاء، وضاعت -بسببها- لصالح الأعداء الكثير من المكاسب والإنجازات؛ التي بذل في تحصيلها آلاف الأرواح المباركة -بإذن الله-.

كما وجدنا -بسبب خلل العلم والعمل على غير هدى- انخداع قطاع واسع من التيار الإسلامي بالشيعة على مدى عقود طويلة، وقد تسبب ذلك بكوارث كثيرة على واقع المسلمين! ولعل من أبرز النماذج على هذا الانخداع بالشيعة: اعتراف الشيخ القرضاوي والدكتور النفيسي بذلك، وإعلانهما البراءة من تأييد الشيعة وكذبتهم (التقريب والوحدة بين السنة والشيعة)!

والعجيب: أن ينخدع رموز كبيرة وتيار واسع بمثل هذه الفرق الضالة والمناهج المنحرفة! برغم التحذير النبوي من خطر هذه الفرق والانحرافات على سبيل أمة الإسلام:

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنّا جلوسًا ننتظر رسول الله ﷺ، فخرج علينا من بعض بيوت نسائه.

قال: فقمنا معه، فانقطعت نعله؛ فتخلف عليها علي يخصفها، فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه، ثم قام ينتظره، وقمنا معه، فقال: «**إنَّ مِنكم من يُقاتل على تأويل هذا القرآن كما قَاتلتُ على تنزيله**»، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر، فقال: «**لا، ولكنَّه خَاصفُ النَّعل**»، رواه أحمد، وصحّحه الألباني.

فالنبي ﷺ يخبرنا: أن القتال مع أعداء الإسلام سيكون دفاعًا عن تنزيل القرآن، ودفاعًا عن تأويل القرآن، فالمشركون والفرس والروم حاربوا الإسلام والمسلمين منكرين الرسالة والنبوة والوحي والقرآن، وهذا قتال قاده النبي ﷺ وخلَفه فيه أبو بكر وعمر وبقية الخلفاء والأمراء، وهو قتال مع الكفار الأصليين.

وقتال آخر حول تأويل القرآن والإسلام مع من يدّعون الإسلام؛ من المنافقين والفرق الضالة، وتجسد أول ما تجسد في: قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج، ومن ثم خاضت الأمة معارك طويلة وعديدة مع فرق أخرى؛ كالقرامطة والعبيديين والصفويين والنصيريين وغيرهم.

وفي عصرنا الحاضر: تخوض أمتنا كلتا المعركتين معًا: معركة

التنزيل وصحة وسلامة الوحي الرباني؛ مع تيارات العلمنة والإلحاد والمستشرقين وأفراخهم، ومعركة التأويل؛ مع موجات التطرف والغلو والتشيع والتأويل العلماني الحداثي والباطني والفرق الضالة؛ كالقرآنيين، والفرق الكافرة؛ كالبهائية والقاديانية، وغيرهم.

ولكن معركة التأويل الباطل للقرآن والإسلام مع الخوارج والشيعة لا تقتصر على العدوان الفكري عبر منظوماتهم الدعائية والإعلامية، بل هم في نفس الوقت يشنون عدوانًا دمويًّا على أمة الإسلام، طال عددًا من الدول.

ومنذ عدة سنوات قُتل نتيجة عدوانهم ما يزيد عن مليون من المسلمين، بخلاف ملايين الجرحى والمصابين والأيتام والأرامل والنازحين والمهجّرين.

إن ما قام به الشيعة والخوارج من عدوانٍ بشع على الثورتين العراقية والسورية هو عدوان مشترك، وتتمثل خطوطه الكبرى في ما يلي:

١- تكفير عموم المسلمين هناك بسبب عدم اتباعهم لهم، فمن لم يصدّق بخليفة الدواعش البغدادي؛ كفّروه! ومن لم يؤمن بإمامة مهدي الشيعة الخرافي؛ كفّروه!

٢- قتل عموم الناس لذلك السبب؛ بالمتفجرات والقنابل والاغتيالات والاحتلال والتعذيب.

٣- التدمير المقصود والممنهج لمدن المسلمين، وبُنيتها التحتية.

٤- التهجير القسري للناس من مدنهم وبيوتهم؛ لتغيير التركيبة السكانية وتوزيعها.

٥- استقطاب بعض الناس لمنهجهم المنحرف والضال؛ وخاصة من الصغار والفقراء.

٦- تكوين تنظيمات تكفيرية وإرهابية ممن استقطبوهم في كل بلدٍ وصلوه.

وإن هذا العدوان من الشيعة والخوارج على أمة الإسلام سيستمر منهم في كل زمان ومكان؛ بحسب قوتهم وقدرتهم، وهذه هي حقيقة معتقدهم وموقفهم من المسلمين.

وإن استمرار التيار الإسلامي في التعاطف والتهادن، والتعامل مع هذه الفرق الضالة، وعدم اعتماد منهج العلم الصحيح في محاكمة هذه الفرق إلى عقائدها الحقيقية في التاريخ والواقع، وإلى واقعها الأسود في القديم والحديث؛ لن ينتج عنه إلا توالي الكوارث والمصائب!

وإن بقاء بعض السلفيين في عماية وجهل عن سجل كوارث تنظيمات العنف والغلو في القديم والحاضر؛ على مستوى الأفكار أو الجرائم الإرهابية، هو بسبب: انخداعهم ببعض المفترين والمنحرفين؛ كالمقدسي والفلسطيني والمحيسني والظواهري وغيرهم، ولن يستفيقوا إلا بعد وقوع الكوارث وإسالة الدماء، وتضييع الجهاد، وتشويه الإسلام، والتضييق على الدعوة، وتمكين العلمانية!

ومن هنا؛ فإن معرفة ضلال هذه التنظيمات وغلوّها، وانحرافها في التكفير واستحلال الدماء، وحقيقة إجرامها في كثير من الساحات هي: السبيل لقطع الانغرار بهم مستقبلًا، فلا يجوز لمن يدّعي نهج السلف الانخداع بالسفهاء والحدثاء في كل مرة ومع كل أزمة تواجه الأمة! ونبقى نقع في فخ الجواسيس من أمثال: أبي القعقاع قولا غاصي أو أبي محمد الجولاني.

أما إخواننا في جماعة الإخوان المسلمين؛ فكفاكم انخداعًا أو تلاعبًا في قضية العلاقة بالشيعة وإيران! فقد شاهدتم جرائمهم بحق المسلمين -عمومًا- وبحق أفرادكم، فمن تأييد إيران للأسد الهالك ضدكم في حماة (١٩٨٢)، إلى تزعّم محاربة الثورة السورية وتجييش كل المليشيات الشيعية الطائفية للقتال وارتكاب أبشع المجازر بحق الأبرياء.

أما في العراق؛ فقد أدار الولي الفقيه حربًا طائفية وحشية ضد

سنة العراق؛ عبر أذنابه في الحشد الشعبي والمليشيات الشيعية من قبل.

وفي مصر؛ سرعان ما غدر بكم الملالي، وأيّدوا الإطاحة بحكم الرئيس مرسي.

ومع ذلك؛ لا يزال بعضكم في العراق يخدم ملالي طهران بكل محبة وإخلاص؛ دون نكير من القيادة!

وفي مصر وغزة لا يزال البعض يرى في عمامة الولي الفقيه حليفًا استراتيجيًّا يستحق المدح والتمجيد بالكذب!

وهناك مواقف غائمة لتنظيماتكم في كثير من الدول تجاه المشروع الشيعي العدواني والتوسعي، ولعل إخوان سوريا وبعض الخليج هم مَن لهم موقف معلن ضد المشروع الشيعي الإيراني، لكن يخرب عليه السكوت عن الموقف الإخواني الممالئ للملالي؛ مما يربك المراقب من حقيقة موقف الإخوان من عدوان طهران؟!

فهل من يقتلني وأهلي في العراق وسوريا واليمن والبحرين والسعودية ولبنان، ويسكت عن هجمات اليهود في دمشق، ويعقد صفقات مع الأمريكان ويتحالف مع روسيا؛ التي تقتلني، وتنسّق مع نتياهو.. يصلح أن يكون حليفًا لي في غزة والقاهرة؟!!

إن هذه الفرق من الخوارج والشيعة أضرّت بالمسلمين في هذه السنين القليلة ضررًا فادحًا، لن تتعافى منه الأمة بسهولة؛ خاصة إذا بقي هذا الخلل العلمي في قيادة العمل الإسلامي مستمرًا تجاه هذه الفرق وما يشابهها.

إن الوعي لخطورة معركة التنزيل للقرآن الكريم: شرط لتجاوز المحنة.

إن تاريخ أمتنا مع هذه الفرق: تاريخ أسود بغيض! سواء تاريخ حركات وثورات الخوارج المتكررة عبر الزمن، والتي جعلت وهب بن منبه يحذر من كارثية قوة وعلو الخوارج؛ فقال: «ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت السبل، وقطع الحج عن بيت الله الحرام! وإذن لعاد أمر الإسلام جاهلية؛ حتى يعود الناس يستعينون برؤوس الجبال كما كانوا في الجاهلية».

وقارِن هذا بحال الرقة ودير الزور والموصل.. ماذا حلّ بها لما تمكن منها الدواعش الخوارج؟!

وإن تاريخ أمتنا مع الشيعة: تاريخ يقطر بالدم من خياناتهم وغدرهم؛ فقد احتل القرامطة الكعبة وسرقوا الحجر الأسود، وقتلوا الحُجّاج وعطلوا الحج، والفاطميون العبيديون نشروا الفساد في تونس ثم مصر، وسلّموا بيت المقدس للصليبيين، والصفويون ملؤوا الدنيا ظلمًا وتكفيرًا عندما احتلوا إيران السنية؛ فشيّعوها بالقهر والقتل.

إن خطر الخوارج والشيعة خطر متجدد؛ خاصة في هذه المرحلة التي يستمتع فيها قادة الكفر في العالم بما تقوم به هذه الفرق الضالة من تدمير وتخريب لبلاد الإسلام؛ بما يرفع عنهم التهمة والتبعة.

فهل يعي قادة التيار الإسلامي خطورة ذلك، ويسعون لنصرة دينهم وبلادهم وأنفسهم؛ بالوعي بخطورة الركون والتحالف مع هؤلاء مهما كانت الظروف سيئة، ومهما كانت الأحوال سيئة؟

وقد ثبت أن كل من جرّب التهادن معهم أو التحالف معهم بقصد الاستفادة منهم أو توظيفهم لمصلحته من الجماعات الإسلامية: خرج خسِرًا ومخدوعًا.

وأخيرًا؛ نذكّركم بقوله ﷺ: «**لا يُلدغ المؤمن مِن جُحرٍ واحدٍ مَرتين**» متفق عليه.

وكم لُدغتم من الشيعة والخوارج يا قادة الحركات الإسلامية ورموزها؟!

يا معشر العلماء يا ملح البلد.. ما يصلح الملح إذا الملح فسد؟!

حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج (٥)

أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر؛ لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة!

وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أوَّلها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع، حتى تصير أذرعًا، وأميالًا، وفراسخ»[١]، وهذا واقعٌ في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود؛ حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها، بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرِّر تشكيلها!

في هذه السلسلة سنتناول: العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال، ومن ثم مسار تطورها التاريخي، ومسار تطور انحرافها الفكري، والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخَّمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية.

وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات هو: منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة)؛ التي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير، مما ولَّد مناخًا مأزومًا، وظهرت فيه ردَّات فعل عنيفة، عُرفت بـ (جماعات الجهاد).

أولًا: الساحة المصرية

٤- عملية اغتيال السادات

عقب الانتهاء من قضية اغتيال الشيخ الذهبي، وصدور حكم الإعدام على شكري مصطفى ورفاقه وتنفيذه في يوم

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/٤٢٥).

سفر السادات للقدس؛ لم تكن الساحة الإسلامية هادئة أو غائبة، بل كانت تمور وتموج بالكثير من الجماعات والأفراد الناقمين على الدولة؛ والذين يريدون إسقاطها لإقامة دولة الإسلام!

فعبْر مسيرة تيار العنف والقتال منذ سنة (١٩٥٨) تشكّلت مجموعات كثيرة تحمل هذا الفكر، وهي إما بقايا لتنظيمات سابقة لم يقبض على أفرادها، أو قبض عليهم وأفرج عنهم فيما بعد، أو

لشباب جُدد تأثروا بدعاة قريبين من هذا الفكر مثل: الشيخ طه السماوي، والشيخ رفاعي سرور[1]، وحكايات البطولة التي نسجت حول رموزه!

ومن هنا؛ كانت الساحة في نهاية السبعينيات من القرن الماضي تموج بعدد من التجمعات أو الروافد[2] -على حد تعبير د. محمد مورو-؛ والتي تتبنى فكر العنف، المتمثل في تكفير النظام على الأقل، وضرورة محاربته بالسلاح، اعتمادًا على أدبيات سيد قطب والمودودي، وما تفرع عنها؛ ككتاب صالح سرية «رسالة الإيمان».

لتشكل هذه الروافد المتعددة: (تنظيم الجهاد)؛ الذي سينجح في اغتيال السادات، ثم تدبّ بينه الخلافات؛ فيتفتّت لمكوناته الأولى!

وعمليات القبض والاعتقال للتيار الإسلامي في زمن عبد الناصر لم تُوقف المد الإسلامي، وإن عمليات الاعتقال والمحاكمة لتنظيم صالح سرية ومن بعده تنظيم شكري مصطفى وخطف سلاح حارس السفارة القبرصية لم توقف زحف ونمو جماعات العنف والتطرف، بل زادتها ودفعتها للأمام، فهل كان ذلك بخطأ من السلطات؟ أم كان هذا بدعم وتوجيه خفي من السلطة أو جزء منها؟[3].

وتتمثل هذه الروافد في ثلاثة مكونات أساسية هي: تنظيم محمد عبد السلام فرج، وتنظيم سالم الرحال، وتنظيم الجماعة الإسلامية في الصعيد، وقد أكد ذلك أيمن الظواهري نفسه في حوار مع صحيفة الحياة اللندنية؛ لكنها لم تنشره[4]، حيث لخّص تاريخه وتاريخ مسيرة تنظيم الجهاد فقال: «كانت بدايتي في الحركة الإسلامية في هذه الجماعة التي أتشرف بالانتماء إليها، وكان ذلك في حوالي سنة (١٩٦٦م)، عندما تكونت النواة الأولى لهذه الجماعة بعد مقتل الشهيد سيد قطب ﷺ.

وكان من أعضاء هذه المجموعة: الشهيد يحيى هاشم -الذي كان رئيسًا للنيابة العامة-، والأخ إسماعيل الطنطاوي، والأخ نبيل برعي، ثم نمت هذه المجموعة إلى أن وصلت إلى الحجم الحالي للجماعة.

وانضم إلينا في فترة لاحقة الأخ عصام القمري ﷺ، وبدأ حينئذٍ في النشاط داخل الجيش، ثم مرت أحداث الفنية العسكرية واستشهاد الأخ يحيى هاشم، وقضايا الجهاد في عام (١٩٧٧) و(١٩٧٨)، واستطعنا بفضل الله تجنّب هذه الضربات.

وفي النصف الثاني من سنة (١٩٨٠م) وأوائل (١٩٨١) قمت بالسفر إلى أفغانستان للاطلاع على الأوضاع من قرب هناك، واكتشفت الإمكانيات الهائلة التي يمكن أن تستفيد منها الحركة الإسلامية في ساحة الجهاد الأفغاني، وكل هذا والجماعة تنمو في صمت في الميدانين المدني والعسكري.

ثم جاءت سنة (١٩٨١م)، وتعرضنا في بدايتها لضربة أمنية، عرف على إثرها الأخ عصام القمري، وقبض على بعض رفاقه من الضباط، مثل: الأخ عبد العزيز الجمل والأخ سيد موسى، وغيرهم من الضباط، ولكننا استوعبنا هذه الضربة.

ومع نشاط «الجماعة الإسلامية» واتحادها مع الأخ عبد السلام فرج بدأ التعاون ينمو بيننا وبينهم؛ عن طريق الدكتور عمر

---

(١) «الإسلام السياسي»، محمد مورو، (ص١٩٩).

(٢) «الإسلام السياسي» (ص٢٠١)، ويوافقه في ذلك ممدوح الشيخ في كتابه «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة»، مكتبة مدبولي، (ص٣٠، ٣٤)، و«موسوعة العنف» (ص٣٤٨).

(٣) «موسوعة العنف» (ص٣٢٣، ٣٤٨).

(٤) منشور في الإنترنت باسم: (حوار الشيخ الظواهري مع جريدة «الحياة»)، (١٤١٤هـ)، موقع «منبر التوحيد والجهاد».

عبد الرحمن، والأخ عبود الزمر، إلى أن جاءت أحداث (١٩٨١م) اغتيال السادات وأحداث أسيوط، وقبض على عدد من إخواننا بسبب الروابط المشتركة بيننا، وأمضينا في السجن ثلاث سنوات، حدث فيها تعارف عن قرب بيننا وبين إخواننا في الجماعات الجهادية، وكان من نتائج ذلك: تلك الثقة العميقة بين الإخوة الذين عاشوا تلك الفترة سويًّا.

وبعد الخروج من السجن؛ بدأنا في تجميع الإخوة من جديد، وقررنا استغلال الساحة الأفغانية لتدريب أعداد ضخمة من الشباب المسلم، وقد وفّقنا الله ﷻ في ذلك توفيقًا كبيرًا».

❁ وسنتناول هذه الروافد بشيء من التفصيل:

١ - تنظيم محمد عبد السلام فرج:

المهندس محمد فرج من مواليد (١٩٥١)، وصاحب كتاب «الفريضة الغائبة»، وهو مهندس كان قد انضم لتنظيم جهاد إسكندرية المتبقي من تنظيم صالح سرية سنة (١٩٧٨) على يد محمد سلامة، ولما تورط بعض أعضاء تنظيم الإسكندرية في قضية القنصلية القبرصية سنة (١٩٧٧)؛ فإن التحقيقات كشفت التنظيم، وتمت تصفيته سنة (١٩٧٩)، فقطع فرج صلته بالتنظيم ورحل إلى لقاهرة، وبدأ العمل مستقلًا لتحقيق فكر الجهاد.

ويبدو أن فرج كان مقتنعًا بفكر الجهاد بشكل عميق؛ حيث كتب رسالته الشهيرة «الفريضة الغائبة»، والتي أصبحت من أهم أدبيات فكر تيار العنف والقتال لوقت طويل، وبدأ بنشرها والدعوة لفكر الجهاد في مساجد منطقة بولاق الدكرور؛ بالخطابة والتدريس والحوارات، واستجاب له عدد من الطلبة.

ثم امتد نشاطه لمناطق مجاورة، واستجاب له طلبة آخرون، منهم: طارق الزمر -الطالب بكلية الزراعة-؛ والذي عرّف فرج على زوج شقيقته عبود الزمر -المقدم بالمخابرات الحربية- سنة (١٩٨٠)، واستطاع التواصل مع بعض المجموعات المتبعثرة من تنظيم جهاد القاهرة المتبقي من تنظيم صالح سرية؛ وخاصة بعد أن قام رئيس التنظيم مصطفى يسري بحل التنظيم بعد اختراقه أمنيًّا[1]، ومن هذه المجموعات: مجموعة نبيل المغربي؛ الذي هو ضابط احتياط سابق بالمخابرات الحربية[2].

وهكذا تجمعت هذه المجموعات؛ التي تؤمن بفكر الجهاد والانقلاب العسكري لإقامة دولة الإسلام على يد فرج، ومارست التدريب العسكري لتلك الغاية[3]، وقد أصبح للتنظيم في نهاية سنة (١٩٨٠) حضور كبير وانتشار واسع، وأعضاء كثر تدربوا على السلاح، وتحصل للتنظيم كميات جيدة من السلاح[4].

ونلاحظ في تكوين هذا الرافد أنه: امتداد وتطور للتنظيمات السابقة، وأغلب أعضائه طلبة (شباب صغار السن)، وبعض أعضائه عسكريون؛ يهدف للانقلاب العسكري، أما فكر هذا التنظيم فوضعه شاب صغير السن (كان عمره آنذاك ٢٨ سنة)، **وليس متخصّصًا أو مؤهلًا شرعيًّا وعلميًّا لوضع فكر يقود الأمة!**

وقد قام شيخ الأزهر آنذاك جاد الحق بالرد على هذا الكتاب، وبيان ما فيه من أوهام، وكذلك فعل د. محمد عمارة.

---

(١) «دليل الحركات الإسلامية»، عبد المنعم منيب، (ص٨٤)، «الإسلام السياسي» (ص١٩٥).

(٢) «دليل الحركات الإسلامية» (ص٨٨).

والذي نفّذ عملية مهاجمة محلات روما القبطية للمجوهرات سنة (١٩٨١)، ثم كشف في عملية شراء أسلحة للتنظيم واعتقل قبل اغتيال السادات. «الإسلام السياسي» (ص ٢٠٦).

(٣) «الإسلام السياسي» (ص٢٠٣).

(٤) «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٣٣).

﴾ ويمكن تلخيص أهم التعقبات على فكر فرج فيما يلي:

أنه لا يفرق بين سعة مفهوم الجهاد؛ الذي يشمل جوانب عديدة ولا يقتصر على مفهوم القتال الضيق الذي ركز عليه فرج!

ومنها: تجنّيه على العلماء والمجاهدين؛ بادعائه ضياع هذه الفريضة.

ومنها: سوء تعامله مع فتاوى ابن تيمية؛ بالاجتزاء والتوجيه غير السليم، وتعميمه الحكم بالردة على جميع حكام العصر، وهذه نتائج طبيعية لشاب مهندس متواضع المعرفة بالعلم الشرعي!

وهذه الأمور ستكون عمدة تراجعات جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية بعد عقدين من الزمان، سالت فيها دماء ألوف الأبرياء، وأدخلت مصر في دوامة حرب أهلية بلا نتيجة؛ سوى التضييق على الدعوة الإسلامية وتمكين العلمانية!

٢- تنظيم سالم الرحال:

محمد سالم الرحال من مواليد عام (١٩٥٦)، وهو أردني من أصول فلسطينية، ومتأثر بفكر حزب التحرير؛ بتكفير الأنظمة السياسية والدعوة للانقلاب عليها، وكان قد درس في الأزهر بكلية أصول الدين بين سنتي (١٩٧٥-١٩٧٩)، اعتقل لمدة (٦) شهور عقب هروب حسن الهلاوي من السجن، ثم أفرج عنه وتابع دراسة الماجستير.

ولكن بعد سنة في (١٩٨٠) تم ترحيله للأردن بسبب نشاطه في إعداد تنظيم جهادي، ولذلك تم الحكم عليه غيابيًّا فيما بعد بالأشغال الشاقة (١٥) سنة في قضية الجهاد[1].

وقد نجح الرحال في ضم أعضاء كثر، منهم: كمال حبيب، ونبيل نعيم عبد الفتاح لتنظيمه، وذلك بعد نشاط واسع للترويج لفكر التنظيم، واستقطاب الكثير من مجموعات التنظيمات السابقة، وعقب ترحيله تولى كمال حبيب القيادة، وأكمل بناء التنظيم؛ فاستقطب أعضاء جددًا، منهم: مجموعة تنحدر من تنظيم إسماعيل طنطاوي؛ الذي فرّ إلى هولندا بعد انكشاف تنظيم صالح سرية، وهي مجموعة أيمن الظواهري وعصام القمري -الضابط الذي تمكن من تشكيل خلية للتنظيم في الجيش-[2].

كان للرحال دور مركزي مع محمد عبد السلام فرج في جمع الكثير من المجموعات من عدة محافظات في تنظيم الجهاد[3].

ونلاحظ على هذا الرافد: نفس الملاحظات -تقريبًا- على رافد تنظيم فرج؛ فهو امتداد وتطور للتنظيمات السابقة، وأغلب أعضائه طلبة (شباب صغار السن)، وبعض أعضائه عسكريون، ويهدف للانقلاب العسكري، وقائد هذا التنظيم: شاب صغير السن (كان عمره آنذاك ٢٣ سنة)، ومتخرج جديد من الأزهر، لكنه **ليس مؤهلًا شرعيًّا وعلميًّا بهذا السن وهذا التحصيل العلمي لوضع فكر يقود الأمة!**

٣- الجماعة الإسلامية:

نجح محمد عبد السلام فرج باستقطاب قادة الجماعة الإسلامية بجامعات الصعيد لفكره، مثل: كرم زهدي؛ والذي كان مطاردًا من قوات الأمن على خلفية أحداث المنيا الطائفية مع الأقباط[4]، ومن ثم انضم له ناجح إبراهيم، وعاصم عبد الماجد، وغيرهما[5].

والجماعة الإسلامية كانت في البداية لجانًا طلابية تتبع

---

(١) «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٣٧).

(٢) «دليل الحركات الإسلامية» (ص٨٥)، «الإسلام السياسي» (ص٢٠٤).

(٣) «موسوعة العنف» (ص٣٥١).

(٤) «الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة» (ص٢٥١).

(٥) «الإسلام السياسي في مصر»، هالة مصطفى، (ص١٥٠).

إدارة الجامعات باسم: «الجماعة الدينية» ضمن سياسة السادات الرامية لمحاصرة التيار اليساري في الجامعات المصرية، ومن ثم برز بعض الطلبة الملتزمين من خلفيات متنوعة (أنصار السنة، الجمعية الشرعية، وغيرها) في أنشطة هذه الجماعة الدينية في جامعات مختلفة.

ويبدو أن البداية كانت مع المهندس صلاح هاشم؛ الذي دخل جامعة أسيوط سنة (١٩٧٢)، والذي تمكن لاحقًا من قيادة الجماعة الدينية بدلًا من موظفي الجامعة، وحدث مثل ذلك في جامعات أخرى، ولكون سياسة السادات دعمت النشاط الإسلامي فقد تمددت هذه النشاطات بسرعة، ولقيت الدعم من الإدارات الجامعية؛ سواء عبر توفير الدعم والإمكانات للمخيمات الدعوية والمهرجانات والمحاضرات وبقية الأنشطة، أو عبر قبول مطالب الجماعة الإسلامية بمحاربة الاختلاط وفصل الطلبة في المدرجات والأماكن العامة، وحظر الحفلات الغنائية وعرض الأفلام السينمائية في الجامعات!

ومن ثم خاضت الجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط الانتخابات الطلابية سنة (١٩٧٨)، وفازت بجميع المقاعد، وكان قد تولى قيادة الجماعة - خلفًا لصلاح هاشم -: ناجح إبراهيم؛ والذي انطلق بالجماعة خارج أسوار الجامعة، والاحتكاك بالمجتمع.

وأصبح هناك نوع من الرابطة بين هذه الجماعات الدينية في الجامعات، وسيكون لهم صلة بقيادات الإخوان الخارجة من السجون، والتي ستعمل في بعض الجامعات تحت اسم: «الجماعة الإسلامية».

ومن ثم سيكون هناك انشقاق بين هذه الجماعات وقياداتها، وبعضها سيتحول لجماعة الإخوان، مثل: عصام العريان، وعبد المنعم أبو الفتوح، وحلمي الجزار، وأبو العلا ماضي، وغيرهم.

والبعض الآخر سيعرف لاحقًا باسم: «الدعوة السلفية» بالإسكندرية، مثل: محمد إسماعيل المقدم، وأحمد فريد، وسعيد عبد العظيم، ومحمد عبد الفتاح، وياسر برهامي، وأحمد حطيبة.

وقسم ثالث سيحتفظ باسم «الجماعة الإسلامية»، وسيتّحد مع تنظيم الجهاد (محمد فرج، وجماعة سالم الرحال بقيادة كمال حبيب)، ويقوم بعملية اغتيال السادات، ولكن في السجن لاحقًا سينفصلان عن بعضهما البعض، ويأخذ كلًّا منهما طريقه الخاص[1].

ومع أخذ الجماعة منحى التطرف والغلو وفكر العنف؛ لجأت لتمويل أنشطتها من خلال مهاجمة محلات الذهب الخاصة بالأقباط؛ حيث قامت بعدد من هذه الهجمات سنة (١٩٨٠)؛ والتي كشف دور الجماعة فيها لاحقًا بعد اغتيال السادات[2].

وعلى غرار التنظيمين السابقين تتكون الجماعة من طلبة جامعيين، وليسوا مؤهلين شرعيًّا لهذه المهام الكبرى، واتخاذ تنظيم الجهاد الشيخ عمر عبد الرحمن مفتيًا له[3] لا يكفي! فهذه القضايا الكبرى التي تتحكم بمصير بلد وشعب بأكمله لا يقوم بها شخص لوحده، وقد كان الفاروق رضي الله عنه يجمع رؤوس الصحابة لمثل هذه القضايا.

(١) «اختلاف الإسلاميين»، أحمد سالم، (ص٢٦).

(٢) «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٤٥)، «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص١٦)، «الجماعة الإسلامية في جامعات مصر»، بدر محمد بدر، وهو يعبر عن رؤية جماعة الإخوان لها، «تجربتي مع الإخوان»، د. السيد عبد الستار، (ص ١٢٤)، وهو يقدم شهادة شخصية متوازنة.

(٣) «الإسلام السياسي في مصر» (ص١٥١)، «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٥٤)، «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص١٨)، ثم أصبح الشيخ عمر مفتيًا للجماعة الإسلامية عقب الانفصال عن تنظيم الجهاد.

ومراجعات أفراد الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد - أو بعضها على الأقل - بعد ربع قرن تؤكد: أنهم لم يكونوا مؤهلين شرعًا للقيام بهذه الأنشطة والعمليات، ولذلك كان عمر عبد الرحمن أفتاهم بصيام شهرين عن حادثة أسيوط وقتل الأبرياء من الشرطة والمدنيين، ومن ثم عرض الجماعة الإسلامية لدفع الدية لمن قتل بسبب عملياتها.

❁ هيكل التنظيم الجديد وخطته:

ومن هذه الروافد تشكل التنظيم الجديد؛ حيث ضم مجلس الشوري: محمد فرج، عبود الزمر، كرم زهدي، ناجح إبراهيم، فؤاد حنفي، علي الشريف، عصام دربالة، عاصم عبد الماجد، حمدي عبد الرحمن، أسامة إبراهيم، طلعت فؤاد.

وكونت ثلاث لجان هي: لجنة العدة، لجنة الدعوة، اللجنة الاقتصادية.

وفي منتصف سنة (١٩٨٠) التقى كرم زهدي بالضابط خالد الإسلامبولي؛ الذي كان يعرفه من قبل في دروس الشيخ طه السماوي، وعرّفه على محمد فرج؛ الذي أقنعه بالتنظيم لأنه مقتنع أصلًا بفكر التطرف والعنف، ومن هنا تبدأ حكاية عملية اغتيال السادات[(١)].

وتم اعتماد خطة عبود الزمر من مجلس الشورى؛ والتي استغرقت (٣) سنوات لإكمال البناء التنظيمي قبل التحرك.

(١) «الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة» (ص٢٥٢)، «الإسلام السياسي» (ص ٢١١)، «الأصولية في العالم العربي»، ريتشارد دكمجيان، (ص١٤٦).

ويشير المؤلف فيه إلى دور محمد الإسلامبولي في تكوين فكر العنف عند أخيه خالد؛ حيث يرى دكمجيان أن محمد الإسلامبولي أحضر معه من الحج «رسائل جهيمان» وأعطاها لشقيقه خالد! وكان جهيمان قد تأثر ببعض أتباع شكري مصطفى!! وهو ما سنفصّله لاحقًا.

■ **حيث هدفت الخطة إلى:**

- **إعداد وتدريب** عدد معين لمستوى معين.
- **مع توفير السلاح** اللازم للقيام بعمليات ضد أهداف رئيسة.
- **واغتيال** قيادات سياسية في الحكم والمعارضة.
- **وتفجير** ثورة شعبية.
- **ثم اختيار** مجلس علماء، ومجلس شورى من العلماء؛ ليقود البلد[(٢)].

هذه هي مكونات، وهيكلية، وخطة تنظيم الجهاد؛ الذي قام باغتيال السادات.

وفي الحلقة القادمة - بإذن الله - نتابع مجريات فكرة الاغتيال، وخطواتها، ونتائجها، وتطوراتها على مكونات التنظيم.

❁❁❁

(٢) «الإسلام السياسي» (ص٢٠٧).

ثورات الخوارج (١١): خروج ابني أديّة: عروة ومرداس

هيثم الكسواني - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

كان عبيد الله بـن زياد صارمًا في أمر الخـوارج كأبيه[١]، وقد اشتدّ عليهم في البصرة بعد خروج طواف بـن غلاق عليـه مع سبعين من أنصاره، في يوم عيد الفطر من سنة (٥٨هـ)، وكان ذلك هو أول تمرّد للخوارج في البصرة خلال ولاية عبيد الله عليها.

كما كان هذا الخروج شؤمًا عليهم؛ فقد تـشدّد عبيد الله في أمرهم بعد ذلك، «فقتَل عـددًا كبـيرًا منهم، وحبس آخرين، حتى أصبحوا بين مقتول ونزيل في سجون البصرة»[٢].

كانت البصرة –آنذاك- هي مركز الخوارج، ومنها تنطلق ثوراتهم، بعد أن اضمحلّ نشاطهم في الكوفة؛ التي كانت قبل ذلك هي مكان انطلاقهم، ونشأة حركتهم، ومنها انحدر معظم قادتهم ومؤسّسيهم.

وبعد القضاء على طواف وأتباعه من الخوارج انتهج عبيد الله ما يُعرف -حاليًّا- بسياسة «الضربة الاستباقية»، فهو لم يكن ينتظر خروجهم عليه، بل كان هو مَن يبحث عنهم، مستعملًا كل الوسائل[٣].

(١) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٦١١).

(٢) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٨).

(٣) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٧٣).

وإضافة إلى خشيته من حركاتهم المسلّحة؛ فإنه كان يخشى -أيضًا- من تأثيرهم الفكري على الناس، وحُسن كلامهم، وانخداع العامّة بهم؛ لذلك كان يقول: «أقمَع النفاقَ قبل أن ينجم! لَكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع»[٤].

◘ عروة بن أُديّة:

ويُعتبر قتل عبيد الله بن زياد لعروة بن أُديّة وابنته في العام نفسه (٥٨هـ): أول صِدام بين عبيد الله والخوارج؛ بعد قمع تمرّد طواف.

وعروة هو أحد رموز الخوارج، ويقال: إنّه هو أوّل من حكّم[٥]، أي: أنه هو الذي أطلق شعار: (لا حُكم إلّا لله!)، اعتراضًا على حادثة التحكيم المعروفة بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، وسيفُه كان أوّل سيف سُلّ من سيوف الخوارج؛ وذلك أنه أقبل على الأشعث بن قيس[٦] فقال: ما هذه الدنيّة يا أشعث؟ وما هذا التحكيم؟ أَشرْط أحدِكم أوثق من شرط الله -تعالى-! ثم شهر السيف...[٧].

وعروة هو أحد النّاجين من معركة النهروان؛ التي خاضها الخوارج ضدّ الخليفة الرابع: عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه سنة (٣٧ أو

(٤) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، المجلد الثالث، نسخة إلكترونية.

ومعنى (ينجم): أي: يطلع ويظهر، واليراع: القصب.

(٥) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية، و د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص٧٨).

(٦) صحابي، وهو الذي حَمَل كتاب التحكيم بعد توقيعه من شهود الطرفين، وأخذ يقرؤه على الناس. د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص٧٧).

(٧) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية، (ص٥٠٦).

٣٨هـ)، وفي أيام خلافة معاوية أُتي به إلى والي العراق زياد بن أبي سفيان، ومعه مولىً له، فسأله زياد عن أبي بكر وعمر ﭬ؛ فقال فيهما خيرًا، ثم سأله عن عثمان وعليّ ﭬ؛ فتولّى عثمان ستّ سنين (أي الشطر الأول من خلافته)، ثم شهد عليه بالكفر، وقال في عليٍّ مثل ذلك، وأنه كان يتولّاه إلى حادثة التحكيم، ثم شهد عليه بالكفر.

وسأله زياد عن معاوية -الخليفة آنذاك-؛ فسبّه عروة سبًّا قبيحًا، ثم سأله عن نفسه؛ فأغلظ عليه القول، فأمر زياد بضرب عنقه، ثم دعا مولاه؛ فقال له: صِف لي أموره؟ فقال: "أأُطنب أم أختصر؟ فقال: بل اختصر، فقال: ما أتيتُه بطعامٍ في نهارٍ قط، ولا فرشتُ له فراشًا بليلٍ قط"[١]، أي: كناية عن شدّة عبادة عروة، فهو صائم في النهار، قائم في الليل.

وهذا هو حال الخوارج؛ كما وصفه لنا رسول الله ﷺ: **«تَحقرون صلاتَكم مع صلاتِهم، وصيامَكم مع صيامِهم»**، وهو من أسباب انخداع الكثيرين بهم في الماضي والحاضر، ولكن مع شدة العبادة لم يتورع -لجهله وانحرافه!- عن تكفير عثمان وعلي ﭬ، وهما مشهود لهما بالجنة!

لكنّ قتلَ عروة كان خلال ولاية عبيد الله بن زياد على البصرة، وأورد ابن الأثير في تاريخه أن: «سبب قتلِه: أن ابن زياد كان قد خرج في رهانٍ له، فلما جلس ينتظر الخيلَ اجتمع إليه الناسُ وفيهم عروة، فأقبل على ابن زياد يعِظه، وكان ممّا قال له: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[الشعراء:١٢٨-١٣٠]، فلما قال ذلك، ظنّ ابن زياد أنه لم يقل ذلك إلّا ومعه جماعة، فقام وركب وترك رهانه، فقيل لعروة: لَيقتلنّك! فاختفى، فطلبه ابن زياد؛ فهرب وأتى الكوفة، فأُخذ وقُدِم به على ابن زياد، فقَطع يديه ورجليه وقتلَه، وقتَل ابنته»[٢].

(١) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية، (ص٥٠٦).

(٢) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٨هـ).

ويقال: إن سبب قتل ابنة عروة هو: اعتناقها مذهب والدها[٣].

وإضافة إلى خشية عبيد الله من استفحال أمر عروة، وإمكانية وجود جماعة تحت إمرته، فقد ذكر بعض المؤرّخين سببين آخرين دفعا عبيد الله لقتله:

الأول: تكفيره لعثمان وعليّ ﭬ -كما مرّ بنا قبل قليل-.

الآخر: مساعدته أخاه مرداسًا على الخروج[٤].

وقد أورد البغدادي اعتراف مرداس بذلك خلال قتاله الجيش الأموي: «وددتُ لو كنتُ قبلتُ فيكم قول أخي عروة! فإنه أشار عليّ بالاستعراض[٥] لكم كما استعرض قريب وزحاف الناسَ في طرقهم بالسيف، ولكنّي خالفتُها وخالفتُ أخي»[٦].

◘ مرداس بن أُديّة:

ومرداس؛ هو الآخر كان من كبار الخوارج كأخيه عروة، يقول ابن الأثير: «وأما أخوه أبو بلال مرداس؛ فكان عابدًا مجتهدًا، عظيم القدر في الخوارج، وشهد صفّين مع عليٍّ؛ فأنكر التحكيم، وشهد النهروان مع الخوارج، وكانت الخوارج كلّها تتولاه»[٧].

ولأبي بلال مرداس أشعار في الثناء على الخروج ومدح رؤوس الخوارج؛ كعبد الله بن وهب الراسبي، أورد منها المبرد قوله:

أبعْد ابن وهبٍ ذي النزاهة والتقى
ومَن خاض في تلك الحروب المهالِكا

أُحبّ بقاءً أو أرجي سلامة
وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا

(٣) د. علي الصلابي، «الدولة الأموية» (١/٢٤٨)، نقلًا عن كتاب «مرويّات خلافة معاوية في تاريخ الطبري» للدكتور خالد الغيث.

(٤) د. علي الصلابي، «الدولة الأموية» (١/٢٤٦).

(٥) جاء في بعض المعاجم: استعرض القوم، أي: قَتَلهُم، ولم يُبالِ بِمَن قتل.

(٦) عبد القاهر البغدادي، «الفرق بين الفرق» (ص٩٢).

(٧) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٨هـ).

فيـا ربّ سـلّـم نيّـتـي وبـصيرتـي

وهَبْ لي التقى حتى ألاقي أولائكا[1]

وعلى الرغم من منزلته العظيمة عند الخوارج، وتمسّكه بمنهجهم إلّا أنه كان يخالفهم في بعض الأمور، منها: أنه «كان لا يدين بالاستعراض، ويحرّم خروج النساء، ويقول: لا نقاتل إلّا من قاتلَنا»[2].

ومرداس كان أحد الخوارج الذين ملأ بهم عبيد الله سجنَه في البصرة، وعزم على قتلِهم؛ إلّا أنّ السجّان تشفّع له عند عبيد الله (حيث كان زوج مرضعته)؛ لِما رأى مِن كثرة عبادته، وكذلك من وفائه له، إذ كان السجّان يطلق مرداسًا من السجن ليلًا فيعود مع الصبح، وفعل ذلك حتى عندما علِم بنيّة عبيد الله قتل المسجونين، فقبل شفاعته وأخلى سبيل مرداس، وكان عبيد الله قد حبس أبا بلال قبل أن يَقتل أخاه عروة[3].

وتعددت الآراء في سبب خروج مرداس على عبيد الله بن زياد بعد الإفراج عنه، منها: أنه خشي من أن يطلبه عبيد الله ثانية[4]، ومنها: أنه لم يحتمل ما حلّ بإخوانه الخوارج مِن قتلٍ وتنكيل، وقد قال: «إنه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل! والله إن الصبر على هذا لعظيم! وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم! ولكننا ننتبذ عنهم، ولا نجرد سيفًا، ولا نقاتل إلا من قاتلنا»[5].

وعلى إثر ذلك: «خرج مرداس في أربعين رجلًا إلى الأهواز، وكان إذا اجتاز به مالٌ لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ثم يردّ الباقي، فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث إليهم جيشًا عليهم أسلم بن زرعة الكلابي، وكان الجيش ألفي رجل.

فلما وصلوا إلى أبي بلال ناشدهم الله أن يقاتلوه؛ فلم يفعلوا، ودعاهم أسلم إلى معاودة الجماعة؛ فقالوا: أتردّوننا إلى ابن زياد الفاسق؟ فرمى أصحاب أسلم رجلًا من أصحاب أبي بلال؛ فقتلوه، فقال أبو بلال: قد بدؤوكم بالقتال.

فشدّ الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجل واحد؛ فهزموهم، فقدموا البصرة.

فلام ابن زياد أسلم وقال: هزمك أربعون وأنت في ألفين، لا خيرَ فيك! فقال: لأن تلومني وأنا حيّ خيرٌ من أن تثنيَ علي وأنا ميتٌ»[6].

واتخذ الخوارج انتصارهم في هذه المعركة -التي حدثت في بلدةٍ يُقال لها: آسك- رغم قلّة عددهم: دليلًا على إيمانهم وصحّة منهجهم، وقد خلّدوها شعرًا؛ فقال أحدهم:

أألفا مؤمنٍ منكم زعمتم	ويقتلُهم بآسكَ أربعونا
كذبتُم ليس ذاك كما زعمتم	ولكن الخوارج مؤمنونا
هي الفئة القليلة قد علمتم	على الفئة الكثيرة يُنصرونا[7]

وقد عاود عبيد الله الكرّة، فأرسل إلى مرداس والخوارج جيشًا جديدًا، مكوّنا من أربعة آلاف جندي، بقيادة عبّاد بن علقمة المازني، وتمكّن الجيش من إلحاق الهزيمة بالخوارج، وقتل مرداس، وجيء برأسه إلى عبيد الله، وكان ذلك في سنة (٦١هـ)[8].

ومما يُذكر: أن عبّادا نفسَه لم ينجُ من القتل بعد ذلك؛ فقد خرج له جماعة من الخوارج؛ فقتلوه في الكوفة[9].

(١) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية.

(٢) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٨هـ).

(٣) المصدر السابق.

(٤) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٩)، نقلًا عن «تاريخ الطبري».

(٥) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٨هـ).

(٧) المصدر السابق، ود. علي الصلابي، «الدولة الأموية» (١/ ٢٥٢).

(٨) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٩).

(٩) المصدر السابق.

أحدث قتلُ مرداس صدمة لدى الخوارج؛ لمكانته عندهم، وقد رثوه بقصائد منها قول عمران بن حطان:

يا عينُ بكّي لمرداس ومصرعه
يا ربّ مرداس اجعلني كمرداس

أبقيتني هائمًا أبكي لمرزئتي
في منزل موحش من بعد إيناس

أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه
ما الناس بعدك يا مرداس بالناس[1].

المراجع:

١- الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية»، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم-بيروت، (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م).

٢- ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية.

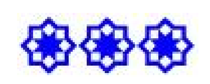
٣- أبو العباس المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية.

٤- عبد القاهر البغدادي، «الفرق بين الفرق»، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت.

٥- د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم»، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٦- د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ خلال (٣٧-١٣٢هـ)»، دار الطليعة للطباعة والنشر-بيروت، الطبعة الثانية، (أيار-مايو ٢٠٠٧م).

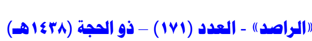
٧- د. علي محمد الصلابي، «الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار»، دار المعرفة-بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).



(١) عمران بن حطان -قائل هذه الأبيات- هو نفسه الذي أثنى على ابن ملجم عندما ضرب الخليفة الرابع عليًّا بن أبي طالب ﷺ بالسيف وقَتله، وقال:

يا ضربةً مِن منيبٍ ما أراد بها
إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يومًا فأحسبُه
أوفى البريّة عند الله ميزانا

مظلومية أهل السنة في إيران (٤): المظلومية الدينية

ماجد العباسي-كاتب من عرب فارس

خاص بـ «الراصد».

يعاني سنة إيران من ظلم كبير يقع عليهم بخصوص دينهم وعبادتهم من قبل نظام الملالي الشيعي الطائفي، ومن مظاهر ذلك:

- **تصفية العلماء والدعاة السنة:**

بدأت هذه التصفيات والاغتيالات بعد الثورة الإيرانية مباشرة؛ حيث قامت الحكومة باعتقالات عشوائية في صفوف أهل السنة؛ لا سيما العلماء والدعاة منهم في سنتي (١٩٨١ و١٩٨٢م)، بحجة: أنهم ينتمون إلى مجلس شمس الذي كان يرأسه الأستاذ أحمد مفتي زادة والشيخ عبد العزيز البلوشي -رحمهما الله-، وكان ذلك في مناطق عديدة مثل كردستان وبلوشستان وخراسان.

ومن أبرز العلماء والدعاة الذين تمّت تصفيتهم بعد قيام الثورة:

١- الشيخ عبد العزيز ملا زادة البلوشي: حيث قتل مسمومًا في المستشفى، عام (١٩٨٧)، ويعدّ من أكبر زعماء السنة في إيران، والنائب المنتخب في مجلس الخبراء، وكان له دور بارز في معارضة تقصير الدستور فيما يخص حقوق أهل السنة، وهو من مؤسسي الشورى المركزي لأهل السنة في إيران (شمس)، وأسس مدرسة زاهدان الدينية؛ التي تعتبر حاليًّا أكبر مدرسة دينية أهلية لدى سنة إيران.

٢- الأستاذ أحمد مفتي زادة: الذي كان من أبرز زعماء السنة والأكراد في إيران، وكان أستاذًا في جامعة طهران، وأصبح من أبرز قيادات الثورة الإسلامية في إيران، وهو المؤسس الحقيقي لأول حركة دينية لأهل السنة في إيران بعد الثورة عرفت باسم: (شمس- شورى المسلمين السنة)، وبسبب مواقفه الصريحة من التوجهات الطائفية لنظام الخميني أطلق عليه النار أثناء إلقائه كلمة في حسينية إرشاد في طهران، ومن ثم تم اعتقاله، وبعد عشر سنوات من السجن أطلق سراحه؛ بعد التأكد من أصابته بمرض عضال! وقد توفي عام (١٩٩٣م) عقب إطلاق سراحه من السجن بشهور قليلة؛ بعد رفض النظام السماح له بالسفر إلى الخارج من أجل العلاج، ومنع النظام تشييع جنازته؛ فدفن بأيدي رجال الحرس الثوري.

٣- الشيخ محمد صالح ضيائي: من كبار علماء وقادة أهل السنة في جنوب إيران، أسس مدرسة دينية في ميناء بندر عباس حينما رجع من المدينة النبوية؛ حيث كان يَدرس في الحرم المكي، ثم التحق بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتخرج منها في أول دفعة، وقد طلبت منه الاستخبارات الإيرانية إغلاق المعهد الديني الذي أسسه إلا أن الشيخ رفض ذلك، وعندما استفسر عن سبب إصرارهم على إغلاق مدرسته، قيل له: إن الطلبة الذين ترسلهم إلى المدينة المنورة أخطر علينا من صواريخ صدام حسين! وفي عام (١٩٩٤م)، وبعد عدة أيام من التحقيق والتعذيب تم قتله بطريقة فظيعة، وقاموا برمي جثته في الصحراء؛ بعد أن تم تقطيع أوصالها.

٤- الشيخ الدكتور أحمد ميرين صياد البلوشي: وهو العالم السني الإيراني الوحيد الحائز على شهادة الدكتوراه في علم الحديث

من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وذلك في أول دفعة لها، وبتقدير الممتاز ومرتبة الشرف الأولى، وبعد عودته من المدينة أسس مدرسة دينية في مسقط رأسه (قرية كاروان بمنطقة زرآباد في إقليم بلوشستان)، وبعد أكثر من سنتين تم استدعاؤه من قبل المحكمة الخاصة برجال الدين وحكم عليه بالسجن مدة خمسة عشر عامًا بتهمة الدعوة إلى الوهابية! وفي عام (١٩٩٦م) وبعد خمسة أعوام من السجن أطلق سراحه، وبعد الإفراج عنه سافر إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، قضى خلالها عدة أيام عند أقاربه، وحين عودته إلى إيران تم القبض عليه من قبل استخبارات مطار بندر عباس، وبعد ثلاثة أيام من اعتقاله وجدت جثته مرمية في أحد الميادين بمدينة ميناب الجنوبية.

٥- الدكتور علي مظفريان: من الأطباء الجراحين المشهورين في مدينة شيراز، تحول من المذهب الشيعي إلى السني في عهد الشاه، وبعد الثورة اشترى بيتًا في شيراز بالتعاون مع عدد من وجهاء أهل السنة من أبناء المدينة، وحوّله إلى مسجد، وصار خطيبًا في المسجد السني الوحيد في مدينة شيراز الكبيرة، وكانت له جهود دعوية مثمرة في رجوع كثير من الشباب الشيعي إلى مذهب السنة، ولكن بعد فترة اعتقل، ومن ثم أُعدم بعد تعرضه لعملية تعذيب رهيبة! وبعد أن أخضعوه لاعترافات تلفزيونية تحت التهديد والتعذيب عام (١٩٩٢).

٦- الشيخ عبد الملك ملا زادة البلوشي (النجل الأكبر للشيخ عبد العزيز): كان له نشاط دعوي بارز في أوساط الطلبة والمثقفين في إيران، كما كانت له مكانة مرموقة بين القبائل البلوشية -خلفًا لوالده-، سبق أن تم اعتقاله عقب انتصار الثورة الإيرانية ضمن أربعمائة رجل دين ومثقف سني بتهمة: الانتماء إلى حركة (شمس- الشورى المركزي للسنة)، وبعد إطلاق سراحه واصل نشاطاته؛ لا سيما في أوساط الشباب الجامعيين، إلى أن مُنع من التدريس، وأُجبر على الهجرة، واغتيل في مدينة كراتشي الباكستانية عام (١٩٩٦) على يد عناصر من الاستخبارات، وقُتل معه في الحادثة نفسها رفيق دربه الشيخ عبد الناصر جمشيد زهي.

٧- الشيخ محمد ربيعي: أبرز عالم سني في محافظة كرمانشاه الكردية، وكان إمام وخطيب أكبر جامع لأهل السنة في مدينة كرمانشاه، واغتيل على يد الاستخبارات الإيرانية عام (١٩٩٦م)، وبعد اغتياله شهدت المدينة والمدن السنية المجاورة -كمدينة جوانرود وروانسر- مظاهرات احتجاجية؛ قتل وجرح فيها العشرات من أهل السنة، كما تم اعتقال آخرين.

٨- الدكتور مولانا عبد العزيز كاظمي بجد: خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، اعتقل في عام (١٩٩٦م) من قبل استخبارات الحرس الثوري؛ بعد أن انتقد مسلسلًا تلفزيونيًّا تعرّض للصحابة، وبعد عدة أيام من اعتقاله وجدت جثته مرمية في العراء، وعليها آثار التعذيب.

٩- الشيخ ناصر سبحاني: من زعماء السنة في كردستان، بسبب رده على كتاب الخميني «الحكومة الإسلامية» اعتقل وأعدم رسميًّا من قبل الحكومة، ومُنع أهله من الصلاة عليه، ولم يسلّموا جثته لأهله؛ الذين لم يعرفوا قبره إلا بعد فترة طويلة.

١٠- الأخ الداعية والمهتدي أمير الحياوي الأحوازي: الذي ولد في مدينة عبادان وعاش فيها، ثم اهتدى إلى مذهب أهل السنة والجماعة في الجامعة الحكومية بمدينة همدان الإيرانية بسبب تأثره بزملائه السنة، ثم ارتحل في طلب العلم إلى بلوشستان ومنطقة عرب فارس وجزيرة جسم ولنجة؛ التي تزوج بها وتتلمذ علي يد علماء السنة هناك، ورجع إلى بلده داعيا إلى الله، واغتيل بالسم في المشفى الحكومي بمدينة قراش بمحافظة فارس، على أيدي المخابرات الإيرانية في سنة (٢٠٠٧).

١١- الشيخ علي دهواري: الذي تخرج من كلية الحديث بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بتقدير ممتاز، وأسس مدرسة «دار الحديث» في بلدته سراوان بمحافظة بلوشستان، وفي سنة (٢٠٠٨) وحين رجوعه إلى البيت -وهو خارج من المسجد؛ بعد

أن أدى صلاة المغرب - أغتيل الشيخ بتسع طلقات على يد رجال الاستخبارات الإيرانية.

• **هدف النظام الإيراني من هذه الاغتيالات:**

يهدف النظام الإيراني من تصفية علماء السنة إلى: أن يجعل السنة بلا أي قيادة دينية، مما يسهل عليه عملية تشييعهم، وإبعادهم عن التدين والالتزام؛ كما فعل أسلافهم الصفويون الذين استطاعوا بفضل تطبيق هذه السياسة (تصفية العلماء والدعاة وأهل الرأي والمشورة من السنة) عمل تبديل جذري في تركيبة السكان! فبعد أن كان السنة في إيران أكثرية تتجاوز نسبتهم (٨٥٪) تحولوا إلى أقلية لا يزيد حجمها عن (٣٠٪) من السكان؛ كما هو حاصل الآن.

ومن المضحكات المبكيات - أيضًا -: أن تقوم الحكومة الإيرانية بتنفيذ أحكام الإعدام في حق بعض العلماء والدعاة من السنة، وبعد الاستفسار والتقصي عن أسباب ومبررات هذه الأحكام؛ فإن المحاكم الثورية لا يكون لديها مبرر سوى تهمة: الوهابية! وأخيرًا السلفية - كما يزعمون! -، **والوهابية: اصطلاح لدى الحكومة تطلقه على كل سنّي له نشاط دعوي أو علمي في أوساط السنة**؛ خاصة أولئك الذين تخرجوا من الجامعات الإسلامية في المملكة العربية السعودية وغيرها.

هذا بالنسبة للعلماء الذين يقبض عليهم في الداخل، أما الذين استطاعوا الفرار بدينهم وهاجروا إلى الخارج - كباكستان وغيرها من الدول الأخرى -؛ فإن الحكومة لم تكتفِ بمطاردتهم من بيوتهم وإخراجهم من ديارهم، بل تتبّعتهم إلى حيث هاجروا، وقامت بتصفيتهم؛ كالشيخ عبد الملك ملا زاده، وعبد الناصر جمشيد زهي - رحمهما الله -؛ واللذين قُتلا في موطن هجرتهما في باكستان بمدينة كراتشي عام (١٤١٦هـ) - كما سبق ذكره -، حيث اغتيلا بوحشية منقطعة النظير؛ حيث أفرغ في جسد كلًّا منهما (٩٠) طلقة! إضافة إلى الطلقة الأخيرة والتي اعتادت المخابرات الإيرانية أن تجعلها في الرأس للتأكد من موت القتيل.

أثر العامل الديني على العلاقات العُمانية الإيرانية

بوزيدي يحيى - كاتب وباحث جزائري

خاص بـ «الراصد».

انفردت سلطنة عُمان بعلاقة متميزة مع إيران مقارنة بدول الخليج الأخرى، فلم تتأثر بوصول الثورة الإسلامية إلى الحكم؛ على عكس العديد من العلاقات الإيرانية مع الدول العربية والخليجية منها على وجه التحديد[1].

فقد حافظت عُمان على علاقاتها بإيران؛ رغم العداء المتنامي ضد طهران في المنطقة، وعلى الصعيد العالمي على حد سواء، وحتى بعد اندلاع الحرب العراقية-الإيرانية في (١٩٨٠)، والتي استمرت نحو عقد من الزمن وساندت دول الخليج خلالها العراق؛ استمرت العلاقات العمانية الإيرانية دون انقطاع[2].

وخلال العقود الأربعة من عمر النظام الإيراني لم تشهد العلاقات بين البلدين صراعات حادة؛ باستثناء بعض الأزمات العابرة التي سرعان ما تزول لتعود العلاقات إلى سابق عهدها[3]، ولم تنقطع رغم العواصف الكثيرة التي مرّت على منطقة الخليج[4]،

(١) محمد الشحري، (الدور العماني في الاتفاق النووي الإيراني)، «رأي اليوم»، (٤/١٢/٢٠١٣)، على الرابط: http://www.raialyoum.com/?p=٢٧٦٩٤

(٢) بسمة مبارك سعيد، (قراءة في رؤية عمان لقضيتي التقارب مع إيران والاتحاد الخليجي)، «مركز الجزيرة للدراسات»، (٢٠١٤/١/٨)، (ص٣).

(٣) تسببت حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١) في توتر العلاقات بين مسقط وطهران بعد قيام الأخيرة بالتعرض لناقلات النفط التي تعبر مضيق هرمز، وكذلك نشرها للصواريخ المضادة للسفن بالقرب منه؛ مما حدا بـعُمان إلى تكثيف تواجدها العسكري في مسندم - المطلة على مضيق هرمز -؛ والتي تبعد مسافة لا تتجاوز الستين كيلومترًا عن الحدود الإيرانية، لكن الطرفين تجاوزا التوتر الطارئ، وعادت العلاقات إلى طابعها التعاوني. ينظر: بسمة مبارك سعيد، المرجع نفسه، (ص٤).

(٤) محمد سيف الرحبي، (عمان وإيران تسابقان الوقت لتعزيز علاقاتهما الاقتصادية)، «جريدة الحياة»، (٢٠١٥/٠٩/٢٠)، على الرابط http://cutt.us/elAK٩

بل على العكس من ذلك شهدت منحى تصاعديًا؛ خاصة في الفترة الأخيرة، حيث عرفت العلاقة بين الطرفين قفزات نوعية سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا، في مقابل توترها مع الدول الخليجية، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية.

فمنذ الزيارة التي قام بها السلطان قابوس لطهران في (أوت ٢٠٠٩) والعلاقات تزداد تماسكًا وتداخلًا، وتشهد صعودًا بوتيرة متسارعة، متعددة الأبعاد، وقد ازدادت صعودًا وتماسكًا بعد أحداث الربيع العربي، وزيارة السلطان قابوس في (أوت ٢٠١٣)[١].

استندت جلّ القراءات على البعد الجيوسياسي بدرجة أولى، والتاريخي بدرجة ثانية في تفسير هذه العلاقة المتميزة بين البلدين، أما البعد الديني فيكاد يغيب عن قراءة تأثيره في العلاقة بين مسقط وطهران، وإن كان هذا البعد أقل حضورًا في السياسة الخارجية العمانية فإنه لا يمكن تحييده من نظيرتها الإيرانية.

وعند مقارنة العوامل التي ساهمت في نسج هذه العلاقة بين الطرفين تظهر بعض المفارقات؛ خاصة بالنسبة للسياسة الخارجية الإيرانية، فكثير من عوامل التشابك والتصادم التي تسببت في توترها مع دول الخليج بشكل خاص تنطبق على السلطنة، والركون إلى مبادئ دبلوماسية الأخيرة قاصر -أيضًا- في تفسير هذه العلاقة، كل هذا يدفع لإعادة النظر في دور مختلف العوامل على العلاقات بين البلدين وفي مقدمتها العامل الديني.

■ الدين ومبادئ السياسة الخارجية العمانية:

تنطلق سلطنة عمان في سياستها الخارجية من جملة مبادئ، يأتي في مقدمتها: إقامة علاقات صداقة مع العالم، وتعزيز العلاقات الحسنة والمتكافئة، واعتماد سياسة حسن الجوار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير، واحترام القوانين والمواثيق والأعراف الدولية[٢].

وإذا كانت مثل هذه المبادئ تتّسم بقدر كبير من المثالية، وجل الدول تدبج بها رؤيتها ورسالتها؛ إلا أنه في الحالة العمانية تجسدت الكثير من هذه المبادئ في الأدوار الدبلوماسية التي لعبتها في القضايا الإقليمية، ويرجع محللون عمانيون الدور الفعال لعمان في المنطقة إلى مبدأ «الحياد الإيجابي»؛ الذي تمسكت به حتى في لحظات حرجة جدًا مرت بها المنطقة إقليميًا وعربيًا؛ كالحرب الإيرانية العراقية، والمقاطعة العربية لمصر، وحرب الخليج الأولى والثانية، وآخرها: موقفها من الملفات الحديثة في السياسة العربية بعد (٢٠٠٩)، ومنها: الملف المصري، والتونسي، والسوري، والليبي، واليمني، وحتى البحريني.

ولذلك؛ استطاعت سلطنة عمان أن تجعل من هذا المبدأ المحرك الديناميكي للمفاتها الخارجية[٣].

تنسب هذه الإستراتيجية إلى السلطان قابوس؛ الذي حاول صياغة جملة من المبادئ بالتفاعل مع خصوصيات بلده؛ خاصة الجغرافية منها، فقد فرض عليها موقعها الجيوسياسي انتهاج هذا المسار لتجنب ارتدادات الأزمات الإقليمية عليها، وعلى أهمية هذا العامل لكن لا يمكن الاستناد عليه وحده في فهم السياسة الخارجية العمانية.

وبالنسبة للبعد الديني؛ لا توجد إشارات مباشرة عن دوره في التأثير على المواقف العمانية، ولكن في الوقت نفسه لا يوجد نفي لتأثيره بالمطلق، ويعبر عنه بطريقة غير مباشرة من خلال الإشارة إلى البنية المجتمعية العمانية، فرغم ضيق هوامش المشاركة

---

(١) مريم يوسف البلوشي، «أثر العلاقات العمانية الإيرانية في أمن دول مجلس التعاون الخليجي بعد الربيع العربي، «مجلة المستقبل العربي»، العدد (٤٤٥)، (مارس ٢٠١٦)، (ص٥٧).

(٢) (السياسة الخارجية)، «موقع «وزارة الخارجية العمانية»، على الرابط:
https://www.mofa.gov.om/?p=٤٢٤

(٣) أحمد الإسماعيلي، «العلاقات العمانية الإيرانية وتأثيرها في الاندماج الخليجي»، «موقع شرق وغرب»، (٢٦/١/٢٠١٥)، على الرابط:
http://sharqgharb.net/alalaqat-alamanett-alieeranett-wtatherh

السياسية، وانعدام تأثير الرأي العام في عملية صناعة الخيار الاستراتيجي؛ فإن صانع القرار العماني لا تغيب عنه انعكاسات التنوع الديموغرافي على الاستقرار السياسي والسلام الاجتماعي، الأمر الذي يُخضِع السياستين الداخلية والخارجية لحسابات الديموغرافيا[(١)].

فالكتل الإثنية والثقافية في الداخل العماني لها امتدادات خارج الحدود الجغرافية، وهذا يفرض على صُنّاع السياسة الخارجية: استبطان المصالح والارتدادات المرتبطة بتلك الامتدادات العرقية والثقافية[(٢)].

ومن جهة أخرى؛ فإن للشخصية العمانية دور في بناء الراهن السياسي لعُمان، فسلطنة عمان التي استقلت من الدولة المركزية الإسلامية (أُمويًّا وعباسيًّا وعثمانيًّا) لأسباب تاريخية دينية؛ لا تزال تمارس شخصيتها السياسية الراهنة من خلال تاريخها السياسي؛ ذلك التاريخ الذي صاغته بتحولاته ومساراته كافة؛ سياقات ظرفية، وتراكمات تاريخية، دفع عمان إلى إحداث قطيعة سياسية مع قضايا العمق العربي.

فعُمان، وإن أصبحت عضوًا فاعلًا في الجامعة العربية، وعضوًا مهمًّا وفاعلًا في منظومة مجلس التعاون الخليجي؛ فهي لا تزال تمارس أدوارها الإقليمية والدولية باعتبارها دولة ذات كيان تاريخي مستقل عن التمركزات التاريخية للبلدان العربية والإسلامية[(٣)].

وبذلك؛ فإن الموقف العماني الحيادي ينبع من خصوصية تركيبتها الديمغرافية المتنوعة؛ بغضّ النظر عن حجم التباين بينها، فالإباضية أدت دورًا مهمًّا في تشكيل التاريخ السياسي الحديث لسلطنة عُمان، ولا زالت المضامين الفكرية لهذا المذهب تؤثر في توجهات السياسة العُمانية المعاصرة؛ المحلية والإقليمية[(٤)].

إلى جانب وجود كتلة سنية[(٥)]، وأقلية شيعية؛ لذلك تتجنب الانحياز إلى أحد الأطراف الإقليمية (السعودية أو إيران)، تخوفا من انعكاساته الداخلية عليها، إذ يمثل الجو الطائفي في الإقليم عاملًا مساعدًا في حرص سلطنة عمان على أخذ مسافة متساوية من جميع الأطراف في النزاع الإقليمي الحالي، وتفادت عمان أن تكون طرفًا في أي تحالف أو ترتيب طائفي، وعززت حيادها لتطور علاقات موثوقة مع جميع الأطراف، وهو ما سمح لها بلعب دور مختلف عن أي دولة خليجية أخرى[(٦)].

فمن جهة: تتخوف عُمان من توسع النفوذ السلفي فيها؛ خصوصًا مع خروج أحاديث عمانية متخوفة من هذه النقطة تحديدًا، ومشيرةً إلى عمل بعض الشخصيات الدينية السعودية على نشر المذهب الوهابي والفكر السلفي في البلاد[(٧)].

ومن جهة أخرى: تتوجس من إيران؛ لذلك انحصر التعامل معها في حدود العلاقات التي لا يمكنها التأثير على مكونات

---

(١) لتفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: أحمد الإسماعيلي، (التعددية الإثنية واللغوية والدينية في عمان وعلاقتها بالاستقرار السياسي)، «مجلة عمران»، العدد (١١)، المجلد الثالث، (شتاء ٢٠١٥)، (ص٨٥-١٠٥).

(٢) عبد الله بن محمد الغيلاني، (عُمان وعاصفة الحزم، الجذور التاريخية والدلالات الاستراتيجية ٢/١)، «مجلة الفلق» الإلكترونية، على الرابط:
http://www.alfalq.com/?p=٧٤٠٢

(٣) مريم يوسف البلوشي، المرجع السابق، (ص٥٦).

(٤) واثق محمد السعدون، (التوجهات المعاصرة للسياسة الخارجية العُمانية)، (٢٠١٢/٩/٢٢)، على الرابط:
http://hekaaitnfar.blogspot.com/٢٠١٣/١١/blog-post_٩٩٣٩.html

(٥) المصادر العمانية تشير إلى أغلبية إباضية في البلد، في حين هناك مصادر أخرى تؤكد أن السنة يمثلون خمسين بالمائة من عدد السكان، وبين (٤٠) إلى (٤٥) بالمائة إباضيون، وهم المسيطرون على السلطة السياسية، والبقية شيعة.

(٦) بسام صلاح، (الدبلوماسية الهادئة: عمان وإدارة العلاقات في إقليم مضطرب)، القاهرة، «المركز العربي للبحوث والدراسات»، (٢٠١٦/١٠/١٩)، على الرابط:
http://www.acrseg.org/٤٠٣٧٥

(٧) صلاح عبد اللطيف، (السياسة الخارجية العُمانية: عُمان بين الخليجيين وإيران)، «موقع مصر العربية»، (٢٠١٥/٩/١٥)، على الرابط: http://cutt.us/VReii

الاجتماع السياسي في عمان، ولهذا ظلت تلك العلاقة تشتغل في مناطق ومساحات ضيقة جدًّا، وغابت أي علاقة بينهما في الملفات الأخرى؛ كالملف الديني والاجتماعي والثقافي، بل حتى التجاري؛ إذ تعتبر عمان الأضعف من حيث التبادل التجاري مع إيران، لأن كل تلك الملفات هي التي يمكن أن تشتغل عليها إيران فيما إن كانت تملك فعلًا مشروعًا أيديولوجيًّا في المنطقة[1].

▪ الحياد على الطريقة العمانية:

عند الغوص في تعقيدات أزمات المنطقة وتشابكاتها يبدو هنالك التباس في مفهوم «الحياد» عند سلطنة عمان! والذي يصبح مشابهًا إلى حد كبير لمفهوم «عدم الانحياز» في حقبة الحرب الباردة؛ فهذه الكتلة العالم ثالثية التي أعلنت عدم انحيازها لأحد من القطبين كانت عمليًّا منحازة بقدر كبير إلى الاتحاد السوفيتي!

والأمر نفسه ينطبق على السلطنة؛ فرغم اتخاذها من الحياد وعدم الانحياز إلى أحد الأطراف مبدأً تجاه القضايا الإقليمية غير أنها -عمليًّا- منحازة -بطريقة ما- إلى الجانب الإيراني، ففي مختلف الأزمات الخليجية مع إيران لم تبدِ السلطنة تضامنًا مع رفقائها في التحالف؛ إلا بقدر محدود جدًّا، وإيران تَعتبر علاقاتها المتطورة والمتقدمة مع سلطنة عُمان مكسبًا كبيرًا يعزز من نفوذها في منطقة الخليج على حساب المملكة العربية السعودية، لذلك فالبعد التنافسي حاضر في العلاقة، ولا شك أن السلطنة تدرك ذلك جيدًا.

من هنا؛ فإن المواقف التي تساند فيها عمان إيران يمكن وصفها بالمنحازة، فقد كان السلطان قابوس أول زعيم عربي يزور طهران بعد تولي روحاني للسلطة في (أغسطس ٢٠١٣)، وعُمان كذلك كانت هي الوجهة الإقليمية الأولى لروحاني[2].

والعلاقات العُمانية-الإيرانية لم تقف عند حدود العلاقات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية، بل وصلت إلى توقيع اتفاق دفاعي عسكري مع إيران في (سبتمبر ٢٠١٤)، وكان من الواضح أن هذا الاتفاق يفتح المجال لتنسيق وتعاون عسكري لا يستهان بهما، ولعل المناورات البحرية المشتركة في مضيق هرمز دليل واضح على مستوى التنسيق الكبير في هذا الجانب، ما يهدد أمن بلدان مجلس التعاون؛ الذي مسقط عضو فيه[3].

كما لعبت مسقط دورًا مهمًّا في تآكل الحصار الدولي والإقليمي على إيران[4].

ناهيك عن أن الأخيرة تبدو عازمة على استغلال موقع عُمان الإستراتيجي للانطلاق نحو أفريقيا؛ التي تزايد الدور الإيراني فيها في الفترة الأخيرة، فقد أعلنت إيران عن استثمارات بقيمة (٤) مليارات دولار في ميناء الدقم العُماني، ومشروعات بنية تحتية أخرى في عُمان[5].

وفي الأزمة السورية؛ أثبتت السلطنة قدرًا من الانحياز إلى جانب نظام الأسد؛ حيث رفضت -عبر وزير الدولة للشؤون الخارجية يوسف بن علوي- طرد سوريا من الجامعة العربية على أساس أن ذلك يصبّ في مصلحة داعش والنصرة! وأن الوساطة والحل السياسي هما الأفضل[6].

وتبرير هذا الموقف بخطر داعش والنصرة قراءة تتسم بعدم الموضوعية! بإغفال ممارسات النظام التي ترتقي إلى مستوى جرائم ضد الإنسانية والإبادة الجماعية، كما أنها من جانب آخر تغفل الإرهاب الشيعي ممثلًا في المليشيات المدعومة من إيران؛ والتي لا تختلف في منطلقاتها وأعمالها عن داعش والنصرة.

---

(١) أحمد الإسماعيلي، (العلاقات العمانية الإيرانية وتأثيرها في الاندماج الخليجي)، المرجع السابق.

(٢) صلاح عبد اللطيف، المرجع السابق.

(٣) عبادة الزرقان، (عُمان دولة بعقل بارد تفضل لعب السياسة من خلف الكواليس)، «عربي ٢١»، (٢٠/١٠/٢٠١٥)، على الرابط: http://cutt.us/PZ9aD

(٤) كريستيان كواتس أولريتشسن، (التقارب الإيراني العُماني وتأثيره على السعودية)، «عربي ٢١»، (٢٤/٤/٢٠١٤)، على الرابط: http://cutt.us/MM1YA

(٥) صلاح عبد اللطيف، المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

والموقف العماني تجاوز كل هذا إلى كسر العزلة الدبلوماسية؛ من خلال قيام «يوسف بن علوي» بزيارة إلى سوريا ولقائه برئيس النظام السوري بشار الأسد.

وهناك مجال واسع للقيام بوساطة دون الحاجة إلى الإقدام على خطوات يدرك صانع القرار العماني أنها توظف لخدمة النظام على حساب جهود حل الأزمة، فلا شك أن النظام استغل الزيارة داخليًّا لتأكيد شرعيته الخارجية.

والالتباس يزداد أكثر في الحالة اليمنية؛ فمع تفهّم الموقف العماني الرافض للمشاركة في عاصفة الحزم تماشيًا مع مبادئها، غير أن الأخذ بعين الاعتبار تأثير الأزمة على الأمن القومي العماني يلزم الأخيرة باتخاذ إجراءات متقدمة رافضة للدعم الإيراني للحوثيين؛ لانعكاساته الخطيرة عليها، فاليمن يتموضع -أو ينبغي أن يتموضع- في قلب الرؤية الإقليمية العمانية، فهناك الالتماس الجغرافي، والتداخل الثقافي، والامتدادات القبلية مع الجزء الجنوبي من عمان.

ولهذه الاعتبارات وغيرها لا تملك الدولة العمانية رفاهية الإعراض عن الشأن اليمني، أو حتى التعاطي معه عن بعد[1].

فالحالة اليمنية بتداعياتها الحرجة تشكل مصدرًا محتملًا لمهددات استراتيجية عالية الكلفة، ومع هذا لم تعلن السلطنة رسميًّا عن مبادرة مستقلة تستبطن المصالح العمانية العليا، وتفتح أُفقًا لتوافقات موضوعية عادلة، بعيدًا من حسابات مشروعي: الهيمنة الأمريكي والإيراني.

ولم تبد موقفًا رادعًا إزاء الهجوم الحوثي على مؤسسات الدولة اليمنية، ولم تستثمر دالتها على إيران التي كانت حاضرة في جولات التفاوض تلك للدفع في اتجاه عقلنة المشروع الحوثي[2].

■ **إيران والاستثناء العماني:**

تشكل سلطنة عمان الاستثناء في طريقة تعامل إيران مع دول المنطقة، فهي المعروفة بزعزعة أمن واستقرار الدول لم تشكّل خطرًا على استقرار عُمان الداخلي، ولم تحاول تقويض وحدتها الوطنية بأي شكل من الأشكال[3]، وحتى المشكلات الحدودية التي تعتبر من أعقد الأزمات في العلاقات الدولية بشكل عام؛ يلاحظ أنه في الوقت الذي تثير فيه إيران المشكلات الحدودية مع الدول الخليجية (الإمارات الكويت)؛ فإنها تحرص على حلّ المشكلات ذاتها مع السلطنة بالطرق السلمية[4].

وتُرجع بعض القراءات العلاقات الإيجابية بين البلدين إلى سياسة قابوس؛ التي تجنّبت الصدام مع إيران، حيث تفسر هذا الاستثناء بالطبيعة الهادئة للسياسة العُمانية، ومبدأ «الانفتاح على الجميع» التي لعبت دورًا هامًّا في وصولها إلى هذه الدرجة من التعاون والارتباط[5].

لكن بالمقارنة مع حالات أخرى نجد أن هناك دولًا كان لها دور مشابه للدور العماني؛ سواء في حرب الخليج الأولى؛ حيث رفضت الانحياز إلى أحد أطراف الأزمة، وعملت على حلها دبلوماسيًّا، وحتى رعاية المصالح الإيرانية؛ فالدوران الجزائري والعماني متشابهان إلى حد كبير جدًّا، ولكن مع ذلك فإن النظام

---

(١) عبد الله بن محمد الغيلاني، (عُمان وعاصفة الحزم، الجذور التاريخية والدلالات الاستراتيجية ١/ ٢)، المرجع السابق.

(٢) مريم يوسف البلوشي، المرجع السابق، (ص٦٦).

(٣) بسمة مبارك سعيد، المرجع السابق، (ص ٦).

(٤) أشرف محمد كشك، (دول الخليج وإيران: قضايا الصراع واستراتيجيات المواجهة)، «مجلة الدراسات الإيرانية»، العدد (١)، السنة الأولى، (ديسمبر ٢٠١٦)، (ص١٣).

(٥) بسام صلاح، المرجع السابق.

الإيراني لم يولِ كل هذه المؤشرات أي أهمية حين تدخّل في الشؤون الجزائرية الداخلية، وانحاز إلى أحد طرفيها في تسعينيات القرن الماضي.

وما يُفهم من هذه القراءة أيضًا: أن السياسة الإيرانية ما هي إلا رد فعل على سياسات الدول الأخرى، وأنها دفاعية وليست هجومية، ولا شك أن هذه القراءة قاصرة، فالسبب لا يعود إلى السياسة الخارجية العمانية؛ لأن منطلقاتها تشاركها فيها دول أخرى، ولكنها لم تسلم من السلوك العدواني الإيراني.

كما أن بعض الدول تبنتها في مرحلة من المراحل على الأقل، فالدول الأخرى لم تكن في حالة صدام دائم مع إيران، ورغم المحاولات العديدة لتجنب التوتر والخلاف إلا أن طهران كانت سرعان ما تعود لتؤزمها بطرق مختلفة، ورغم الخطوات الإيجابية بقي السلوك الصراعي هو المرتكز الأساسي في علاقتها معها.

فبعد حرب الخليج الثانية والتحول في الموقف الخليجي من نظام صدام حسين ووصول رفسنجاني ثم خاتمي للسلطة؛ مثلت كل هذه الفترة محاولات خليجية لنسج علاقات تعاونية وودية مع طهران، لكن مع ذلك استمر المنطق الإيراني الثوري هو المحدد الأساسي لعلاقتها مع هذه الدول.

فعلى سبيل المثال لا الحصر: في الحالة البحرينية كان واضحًا السلوك العدواني تجاهها من أول يوم للثورة إلى غاية كتابة هذه السطور، ففي المخيلة الإيرانية دولة البحرين ما هي إلا محافظة إيرانية!

وبمعالجة الموضوع من زاوية أخرى؛ نجد أن الأسباب التي تبرر بها إيران عداءها لدول الخليج لم تختلف عنها سلطنة عمان فيها، بداية من الموقف من نظام الشاه، فالعلاقات الوطيدة التي جمعته ببعض الدول الخليجية جعل منها النظام الإيراني الثوري منطلقًا في تصنيف أعدائه وحلفائه.

ورغم علاقة السلطنة بالشاه إلا أن النظام الثوري لم يأخذ ذلك بعين الاعتبار؛ فنظام السلطان قابوس في عمان كان حليفًا للشاه، ويعود الفضل الكبير لاستمراره إلى هذا الأخير الذي دعمه عسكريًّا، فقد ساعدت إيران الشاه السلطنة في السبعينيات على إخماد «ثورة ظفار» اليسارية المدعومة من المعسكر السوفييتي[1].

وبالتالي؛ فيفترض بالعداوة أن تستمر كون النظام العماني امتدادًا للسياسة التي كان يمثلها الشاه.

وحتى بالنسبة للموقف من الكيان الصهيوني؛ رفضت مسقط قطع علاقاتها مع مصر إبان إعلان الأخيرة معاهدة «كامب ديفيد»، والتي عارضتها معظم الدول العربية، والتي كانت مؤشرًا للولاء والعداء للشيطان الأصغر.

وتمثل العلاقة مع أمريكا المفارقة الأبرز؛ فقد تمحور الخطاب الثوري الإيراني حول مجابهة الشيطان الأكبر والأنظمة الطاغوتية المدعومة من طرفه، وكان المقصود بذلك: الأنظمة الخليجية، غير أن السلطنة لم تكن معنية بذلك، رغم أنها حليف قديم لبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وكان لبريطانيا دور كبير في تولية السلطان السلطة ومقاومة الثورات ضده، وهو ما يذكّر بالممارسات نفسها التي قامت بها بريطانيا والولايات المتحدة في حقبة الشاه ضد محمد مصدق.

ولكن يبدو أن إيران أغمضت عينيها عن الشيطان الأكبر

(١) بدر الراشد، (عُمان.. دبلوماسية الأبواب المغلقة في هواية الوساطات)، «العربي الجديد»، (٢/١١/٢٠١٥)، على الرابط: http://cutt.us/UT٥gx

في عمان، واستثنته من الأنظمة الطاغوتية العميلة له؛ كما كان يردد الخميني ولازال خامنئي خلال كل هذه العقود!

وبينما تطرح إيران التعاون والتنسيق الأمني مع دول الخليج كبديل عن ذلك الموجود مع الولايات المتحدة الأمريكية؛ فإنها لم تطالب بالأمر نفسه مع سلطنة عمان؛ التي تربطها اتفاقيات عسكرية وتعاون أمني بين البلدين.

فعسكريًّا؛ تعد مسقط السباقة إلى التعاون في هذا المجال مع الولايات المتحدة، فقد قدّمت سلطنة عُمان تسهيلات عسكرية للقوات الأمريكية العاملة في منطقة الخليج العربي؛ باستخدام المرافئ والمطارات العُمانية؛ حسب الاتفاقية التي أبرمتها مع الولايات المتحدة في (جوان ١٩٨٠)، كما أن الاتفاقية أتاحت إقامة منشآت في جزيرة مصيرة والثمريات والسيب لاستخدام سلاح الجو الأمريكي؛ فضلًا عن منشآت أخرى لقوات البحرية الأمريكية[(١)].

وكان ذلك بسبب: القلق من الثورة الإسلامية، قبل أن توقّع دول الخليج الأخرى الاتفاقيات الأمنية مع الولايات المتحدة بعد الغزو العراقي للكويت.

وبالرغم من أن التواجد الأمريكي العسكري في عُمان قد شهد تراجعا في الفترة الأخيرة؛ إلّا أن الولايات المتحدة أبقت على مخازن أسلحة ضخمة وقواعد عسكرية يمكنها استخدامها، وقد استخدمتها بالفعل في تنفيذ بعض الضربات في أفغانستان وباكستان، كما تحتفظ بمحطات مراقبة، وقواعد لانطلاق طائرات التجسس، كما وتعتبر عُمان مركزًا للقيادة المشتركة للعمليات الخاصة و(السي آي إيه) في منطقة الشرق الأوسط[(٢)].

(١) واثق محمد السعدون، المرجع السابق.

(٢) صلاح عبد اللطيف، المرجع السابق.

والأدهى من ذلك كله: أن عُمان أضحت هي الوسيط بين إيران والشيطان الأكبر -كما يحلو للساسة الإيرانيين نعتها!-؛ فقد توسّطت مسقط في مشاهد كثيرة بين الغرب وإيران؛ كإطلاق سراح بريطانيين وأمريكيين محتجزين في إيران بين أعوام (٢٠٠٧ و٢٠١١)، وأيضًا إطلاق سراح عالم إيراني كان محتجزًا في الولايات المتحدة عام (٢٠١٣)[(٣)]، والدور الأهم كان في موضوع «الملف النووي»؛ حيث رتبت العديد من اللقاءات السرية المباشرة بين واشنطن وطهران.

■ **الخلاصة:**

تشير جلّ الدراسات: إلى وقوع سلطنة عمان بين دولتين في المنطقة تمثلان واجهتين لمشروعين سياسيين بخلفيتين دينيتين متمايزتين؛ حيث تعبّر إيران عن مشروع شيعي، والسعودية عن مشروع سني.

تؤثر هذه الخلفية على السياسة الخارجية العمانية بطريقة مباشرة، مما يؤكد على محورية البعد الديني فيها، كونها تأخذ بعين الاعتبار تركيبتها التي يتجاوز فيها السنة الإباضيين بقليل إضافة إلى أقلية شيعية، غير أن الظروف التاريخية جعلت الإباضيين يسيطرون على السلطة في جل الفترات.

وقد كشفت العديد من الأزمات؛ خاصة منها اليمنية والسورية عن انحياز عماني واضح إلى إيران؛ رغم كل محاولات تغليف مواقفها بالحيادية.

(٣) ومن الأمثلة كذلك: دورها في الإفراج عن الدبلوماسي الإيراني نصرت الله طاجيك في (ديسمبر ٢٠١٢)، المتحفظ عليه في لندن منذ (٢٠٠٦)، كما ساهمت مسقط في الإفراج عن الصحفية الأمريكية سارة شورد في (سبتمبر ٢٠١٠)؛ والتي اعتقلت مع زميلين لها أفرج عنهما بوساطة عمانية -أيضًا- في (سبتمبر ٢٠١١)، هما: شين بوير وجوش فاتال، كانوا في رحلة في إقليم كردستان العراق واجتازوا الحدود الإيرانية في العام (٢٠٠٩)؛ حسبما تقول المصادر الصحفية.
أضف إلى ذلك فقد رعت سلطنة عُمان المصالح الإيرانية في كل من بريطانيا وكندا. ينظر: محمد الشحري، المرجع السابق.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه إلى تنسيق سياسي وتوطيد للعلاقات؛ من خلال الاتفاقيات الأمنية والعسكرية، والبعد الجيوسياسي أثبت احتمالات الانعكاسات السلبية للدور الإيراني في اليمن على أمن عُمان القومي.

وغياب البعد الديني في العلاقات الإيرانية العمانية من الواجهة -كما هو حال علاقة إيران بدول وجماعات أخرى- لا يعني: عدم حضوره في خلفية المشهد السياسي، كشكل من أشكال التحالف بين الأقليات، لأن الغوص في حجم التعارض بين العقيدتين الإباضية والشيعية يفترض قدرًا من التباعد والتنافر بين الطرفين أكبر بكثير منه مع السنة، ذلك أن المعتقدات تبلغ حد التناقض.

مع ذلك فإن عُمان لا ترى في إيران مصدر تهديد كبير لها[1]، والمذهب الديني السائد في السلطنة (الإباضية) لا يرى ضيرًا من إقامة مختلف العلاقات مع إيران والتحاور معها[2].

وتمايز السلطنة عن بقية الدول الخليجية والعربية بالحضور القوي للإباضية فيها جعلها تميل إلى الشيعة؛ تخوفًا من احتمالات ذوبان مجتمعها في محيطه السني؛ خاصة مع حضورهم القوي فيه، والذي يبلغ أو يقارب نصف السكان.

بينما التعارض العقائدي مع الشيعة يعتبر حواجز ذاتية، تجعلها لا تخشى من انتشار معتقداتهم في الوسط الإباضي، وأيضًا عدم تأثير الأقلية الشيعية بحد ذاتها.

وسيطرة الإباضية على السلطة السياسية، وموقفهم المخالف للسنة، وتوجّسهم منهم: معطى هام جدًّا بالنسبة لإيران، توظفه بما يخدم مصالحها المثلة في: التوسع على حساب الدول والمجتمعات السنية؛ التي تبقى أهم عائق وخطر بالنسبة لإيران.

وعدم وجود أقلية شيعية كبيرة في المجتمع العماني لم يحفزها للاستثمار فيها لدعم نفوذها؛ على غرار ما تفعله مع المجتمعات السنية الأخرى؛ التي تحاول خلق أقليات شيعية فيها من العدم؛ من خلال سياسات نشر التشيع.

كل هذه العوامل ساهمت في انتهاج إيران سياسة تعاونية مع سلطنة عمان؛ لتحييدها عن العرب من جهة، والبحث عن فرص التعاون لكسبها إلى جانبها من جهة أخرى.

أمريكا وإيران..
وعند اللوبي الخبر اليقين!

أسامة الهتيمي-كاتب مصري

خاص بـ «الراصد».

منذ العام (١٩٧٩م)، وبعد أن قام المئات من الطلاب الإيرانيين الثوار من أتباع ما يطلق عليه: «خط الإمام» باقتحام السفارة الأمريكية في طهران، واحتجاز نحو (٥٢) من الأمريكيين كرهائن، ومن ثم محاولة واشنطن الفاشلة لإطلاق سراحهم؛ التي تحطمت خلالها طائرتان عسكريتان وراح ضحيتها ثمانية جنود أمريكيين ومدني إيراني؛ ولا زالت الولايات المتحدة الأمريكية -ووفق ما هو معلن- تنظر إلى إيران باعتبارها بلدا إرهابيًّا يستحق أن تفرض عليه العقوبات.

وهو التقييم الذي أكدت صحته السياسات الإيرانية فيما بعد وعلى مدار أكثر من سبعة وثلاثين عامًا؛ حتى أن الخارجية الأمريكية وفي تقريرها الأخير حول الإرهاب في العالم عام (٢٠١٦م) صنفت إيران باعتبارها الدولة الأولى الراعية للإرهاب، الأمر الذي لاقى قبولًا لدى العديد من الدوائر ليس في أمريكا فحسب بل وفي الكثير من البلدان، وفي مقدمتها: دول الخليج؛ التي عانت ولا زالت تعاني من الإرهاب الإيراني.

---

(١) صلاح عبد اللطيف، المرجع السابق.

(٢) واثق محمد السعدون، المرجع السابق.

وعلى الرغم من أن كل الشواهد تدعم ما ذهبت إليه واشنطن ومعها عواصم البلدان المتضررة فيما يخص النظرة إلى إيران، وتؤكد أن السياسات الإيرانية تحتاج إلى وقفة جادة وحاسمة توقف العدوان الإيراني الذي يتصاعد عامًا بعد عام؛ إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية -التي يفترض أنها القوة الأولى في العالم- لم تتخذ مواقف قوية، ولم تفعّل قوتها للرد على السلوك الإيراني؛ فانحصرت المواقف الأمريكية عند ترديد عبارات الإدانة والشجب والاستنكار، ووضع بعض التنظيمات المحسوبة على إيران في خانة الإرهاب، تتساوى في ذلك مع العاجزين! اللهم إلا من بعض الإجراءات المتعلقة بفرض حزمة من العقوبات الاقتصادية التي تدرك واشنطن قبل غيرها بأنها لا يمكن بأي حال من الأحوال -وفي ظل تعقد وتشابك العلاقات والمصالح الدولية والإقليمية- أن تكون رادعًا قويًا، أو ذات تأثير يضطر إيران إلى إعادة النظر في سياساتها.

بل إن الأدهى من ذلك: أن نشهد مواقف أمريكية معاكسة ومغايرة لما يجب أن تكون عليه، وغير منسجمة بالمرة مع ما ترفعه من شعارات وتردده من تصريحات على لسان قادتها بل ولا تمثل حتى الحد الأدنى من الرد على الوصف الإيراني لأمريكا كونها (الشيطان الأكبر)، لتبدو ملامح المشهد الحقيقية مؤكدة أن الوصف الدقيق لطبيعة العلاقات الأمريكية-الإيرانية هو أنها: تشبه جبل الجليد، فما يطفو منه على السطح أقل بكثير مما هو أسفل الماء، وأن ثمة بونًا شاسعًا بين ما هو معلن وبين ما هو خفي!

■ علاقات لم تنقطع:

يعتقد الكثيرون -ولهم بعض العذر- أن العلاقات الأمريكية الإيرانية -ومنذ نجاح الثورة الخمينية- في حالة توتر دائم، نتيجة الشعارات التي رفعتها الثورة وأبرزها: «الموت لأمريكا - الموت لإسرائيل»، والتي كانت تعكس إلى أي مدى يحنق قادة إيران الجدد على أمريكا والكيان الصهيوني.

غير أن الكثير من الشواهد والدلائل المناقضة لذلك تكشفت يومًا بعد يوم حتى تعرت تمامًا، وأصبحت على مرأى ومسمع من الجميع، فالتواصل بين الخميني وأمريكا يعود للعام (١٩٦٣م) بعد أشهر من الإفراج عن الخميني؛ الذي سجن نحو ثمانية أشهر بعد احتجاجه على ما أسماه الشاه وقتها بـ «الثورة البيضاء».

إذ تشير الوثائق الأمريكية التي تم الكشف عنها مؤخرًا إلى تبادله الرسائل مع الرئيس الأمريكي وقتها جون كينيدي، واستمر تواصل الخميني مع أمريكا حتى بعد الثورة، إذ أكدت الوثائق أن الخميني بعث برسالة إلى الرئيس جيمي كارتر -صديق الشاه- عام (١٩٧٩).

وفي الثمانينيات كانت الفضيحة التي أطلق عليها إعلاميًا: «إيران كونترا»؛ والتي كانت سببًا في القضاء على المستقبل السياسي للرئيس رونالد ريجان؛ حيث قام بتوريد أسلحة أمريكية بقيمة نصف مليار دولار إلى إيران عبر الكيان الصهيوني، وخلال الحرب القائمة آنذاك بين إيران والعراق، وهو ما آثار دهشة واستياء الشعب الأمريكي وقتها! إذ يفترض أن العلاقات بين البلدين تشهد توترًا وخلافات عميقة!

واستمر التواصل بين قادة البلدين للتنسيق بشأن العديد من الملفات ومنها: حرب الخليج الثانية عام (١٩٩١م)؛ التي لم يخفَ خلالها على أحد الدعم الإيراني للقوات الأمريكية خلالها، حتى جاءت أحداث (سبتمبر ٢٠٠١) والتي سارع على إثرها المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي ليؤكد إدانة إيران ورفضها للإرهاب؛ حتى لا يقع في فخ معاداة أمريكا بعد تقسيم رئيسها وقتئذٍ جورج بوش العالم إلى قسمين: قسم معه، وقسم ضده.

ثم الدعم الإيراني للقوات الأمريكية خلال غزو أفغانستان (٢٠٠١)، فمساعدة إيران في عملية غزو العراق (٢٠٠٣)، ثم

انخراط أمريكا في مفاوضات متعددة الأطراف بشأن الملف النووي الإيراني، والتوصل إلى الاتفاق النووي (مجموعة ٥ + ١) في (يوليو ٢٠١٥م).

ولم يقتصر الأمر عند ذلك فحسب، بل امتد التنسيق الأمريكي-الإيراني إلى حد أن تتوافق الأجندة الأمريكية مع الأجندة الإيرانية في العديد من الملفات الإقليمية المهمة؛ كما هو الحادث في العراق وسوريا، أو غض الطرف الأمريكي عمّا يحدث في اليمن ولبنان، والتي يعلم الجميع مدى فاعلية الدور الإيراني فيهما.

وبكل تأكيد؛ فإن هذا التوافق يحمل إشارة مهمة مفادها: أن واشنطن لا تستغني عن توظيف الدور الإيراني في المنطقة مهما كان مؤيدًا لها كما كان الأمر زمن الشاه، أو معارضًا لها كنظام الملالي لتحقيق مصالحها الخاصة.

ولعل في المقارنة بين المواقف الأمريكية تجاه العراق أو بعض المكونات والتنظيمات السنية في المنطقة ورد الفعل الأمريكي تجاه تحركاتها؛ ما يكشف عن تباين المواقف الأمريكية تجاه إيران، ففي العام (١٩٨١) قامت القوات الصهيونية -وبموافقة أمريكية- بضرب المفاعل النووي العراقي، وفي العام (٢٠٠٣) تحركت جحافل الجيش الأمريكي لغزو العراق على خلفية شبهات حول وجود برنامج نووي عراقي، ثبت فيما بعد أنها أكاذيب وأباطيل! في الوقت الذي لم تحرّك فيه أمريكا ساكنًا إزاء إيران التي تأكد بالأدلة والبراهين أنها بالفعل تتبنى برنامجًا نوويًّا؛ فضلًا عن الدعم الإيراني للميلشيات الطائفية التي تقوم بأدوار أقل ما توصف بأنها: قذرة في بلدان المنطقة، وتسببت في حالة من عدم الاستقرار بها.

■ اللوبي والخبر اليقين:

بطبيعة الحال؛ كان الفارق الكبير بين مواقف أمريكا العلنية والخفية من إيران مثيرًا للتعجب وللتساؤل -أيضًا- حول الأسباب الحقيقية التي تجعل أمريكا تسلك هذا المسلك المتناقض! حتى أن الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب -والذي لم يفتأ يدلي بتصريحات شديدة اللهجة بحق إيران والاتفاق النووي خلال حملته الانتخابية- يصبح عاجزًا عن فعل أي شيء إلا من السير على نهج أسلافه في فرض حزمة من العقوبات بين الحين والآخر بحق بعض الأشخاص والمؤسسات الإيرانية؛ والتي بكل تأكيد لن توقف إيران عند حدها.

وتفسير الأمر لا يحتاج إلى كثير عناء؛ فالتقاء المصالح بين البلدين هو المحدد الرئيس لطبيعة العلاقة بينهما، فعلى الرغم من إعلان ملالي إيران بعد الثورة العداء مع أمريكا إلا أن إيران قدمت نفسها وبثوبها الجديد لأمريكا كبديل عن إيران الشاهنشاهية التي تحافظ على المصالح الأمريكية في المنطقة؛ سواء كانت تلك المصالح متعلقة بتأمين مصادر الطاقة، وممرات العبور لنقل النفط.

أو بتلك المتعلقة بإجهاض المشاريع الإسلامية السنية التي ينظر إليها الغرب الاستعماري باعتبارها مهددة له لاختلافها الأيدلوجي معه.

أو تلك المتعلقة بضمان أمن الكيان الصهيوني، عبر أسلوبين: أحدهما: تكوين ميلشيات ترفع شعارات المقاومة زورًا وبهتانًا! وتنتهي علاقتها بالكيان الصهيوني بإحداث توافق فيما بينهم؛ كما هو الحال مع حزب الله اللبناني، أو عبر احتواء فصائل المقاومة السنية؛ كما هو الحادث مع الفصائل الفلسطينية في الوقت الحالي.

في هذا الإطار؛ فإيران حتى يمكنها أن تقوم بهذا الدور لا بد لها من إعلان العداء مع أمريكا؛ لتستقطب أفئدة الملايين من العرب والمسلمين في بقاع الأرض، وتكون قبلة لهؤلاء الذين يتطلعون إلى إيران لتحقيق أحلامهم، فسمحوا لها بأن تتاجر بهم وأن تستخدمهم كأدوات أساسية وفاعلة لتحقيق مشروعها

الخاص؛ حتى تكشفت المواقف وسقطت أوراق التوت.

وقد استغلت إيران -وبحسب كل مرحلة تاريخية- الكثير من الأوراق لإقناع أمريكا بهذا الدور؛ حتى لا تفقد أمريكا حماسها لإيران، أو أن يستشعر قادة البيت الأبيض أنه يمكن أن تحل قوة أخرى محل إيران، وهو الدور الذي لعبه بإتقان شديد اللوبي الإيراني في أمريكا.

■ النشأة والقدرات والتمثيل:

من المعلوم أن اللوبي هو: مجموعات منظمة تمارس ضغطًا سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وإعلاميًّا، وتسعى للتأثير على القرارات الحكومية، والتشريعات القانونية، والانتخابات، والرأي العام، وتقديم الدعم المادي والمعنوي والفكري للجهة التي تمثل مصالح اللوبي؛ سواء الاقتصادية أو الفكرية أو الاجتماعية، لكنها لا تخطط لممارسة نفوذ حكومي رسمي.

وفي دراسة نشرتها مجلة «Perspectives on Politics» التابعة لـ «Cambridge Journals» ولخصتها الـ «BBC NEWS» حاولت تحليل نظريات السياسة الأمريكية واستنتجت: أن نموذج الحكم الأمريكي ليس ديمقراطيًّا بالمعنى الحقيقي، إنما حكمًا أقلويًّا بالمعنى العملي، لكن «حكم الأقلية» هذا ليس هو المفهوم المعروف في دراسات النظم السياسية، إنما هو «حكم اللوبيات» التي تحوز على الثروة والمال والنفوذ والعلاقات.

وقامت الدراسة بتحليل المتغيرات، اعتمادًا على بيانات كبيرة، وخرجت بنتيجة مفادها: أنّ المجموعات الصغيرة أو اللوبيات لها تأثير أكبر من الجماهير أو مجموعات العمل المدني التي تمثل الجماهير على صناعة السياسات وتوجيه القرارات المعنية بالشأن الداخلي أو الشؤون الخارجية.

يضاف إلى ذلك: فإن عملية التواصل مع الشخصيات الأمريكية المؤثرة أمر ليس صعبًا على الإطلاق، فالدراسات تشير إلى أن أكثر من (٤٠%) من أعضاء الكونجرس الأمريكي يعملون في شركات اللوبيات بعد التقاعد، كما أن عددًا كبيرًا من الباحثين والصحفيين والكتّاب الأمريكيين لا يمانعون على الإطلاق من أن يتعاونوا مع هذه اللوبيات، ويقدموا لهم خدمات.

وعلى الرغم من أن وجود الجالية الإيرانية ربما يعود للستينيات من القرن الماضي؛ حيث شهدت أمريكا أول موجة لهجرة الإيرانيين مطلع عام (١٩٦٠) إلا أن إيران لم تكن في هذا الوقت في حاجة إلى لوبي، فقد كانت العلاقة بين الشاه وأمريكا على ما يرام.

ثم جاءت الموجة الثانية من الهجرة الإيرانية إلى أمريكا في أعقاب اندلاع الحرب الإيرانية العراقية التي امتدت لثماني سنوات (١٩٨٠-١٩٨٨)؛ فكان أغلب المهاجرين من الفارين من الخدمة العسكرية واللاجئين السياسيين.

وتزايد الإيرانيون بشكل كبير في أمريكا، وتركز تواجدهم في مناطق بعينها، ومن ذلك: تواجدهم المكثف حول لوس أنجلوس، حتى أطلق عليها البعض: «طهران أنجلوس أو إيران أنجلوس»، كما تضم كلًّا من بيفرلي هيلز وإرفاين أكبر الجاليات الإيرانية الأمريكية، وهو ما يفسر كيف وصل جيمي -جامشيد- دلشاد وهو إيراني أمريكي كعمدة لبيفرلي هيلز في عام (٢٠٠٧)، ثم أعيد انتخابه في (٢٠١٠).

إذ يتواجد في أمريكا من (٣ إلى ٤.٥) مليون إيراني، وُلد أكثر من نصفهم على الأراضي الأمريكية، فيما نجحوا في أن يتوغلوا في عالم السياسة والمال بأمريكا؛ إذ أسس هؤلاء نحو (٣٢٠) شركة، ويساهمون في (٤٥٠) شركة أخرى، وتصل ثرواتهم إلى نحو (٤٠٠) مليار دولار، ومن بينهم نحو (٧٠٠٠) طبيب، و(١٣٠٠) متخصص في العلوم البحثية والتطبيقية، يعملون في المؤسسات الأمريكية، وهناك (٩٨٠) سيدة إيرانية يعملن في قطاع الاتصال والعلاقات العامة والترجمة والخدمات اللوجستية، فيما تصل نسبة الحاصلين منهم على درجة الليسانس حوالي (٢٦%)، ما يضعهم في

المرتبة الأولى بين المهاجرين من حيث التعليم العالي؛ بحسب دراسة عن اللوبي الإيراني للكاتب لي سميث.

وقد أدركت إيران الخمينية ومن خلال استقرائها لما يقوم به اللوبي الصهيوني في أمريكا؛ الذي يعود إلى الستينيات من القرن الماضي، ويتشكل من عدة شخصيات ومؤسسات ومنظمات أبرزها: منظمة «إيباك»؛ إلى أهمية هذا الدور في أمريكا؛ الذي نجح إلى حد كبير في أن يؤثر على الموقف الأمريكي لدعم الكيان الصهيوني، والانحياز له دائمًا، رغم أن نسبة اليهود في أمريكا لا تتجاوز الـ (٣%) من السكان، ومن ثم فقد حرصت إيران -هي الأخرى- على أن يكون لها لوبي قوي يحقق لها مصالحها في الداخل الأمريكي.

كذلك؛ فإنه وبحسب مراكز دراسات أمريكية فإن الحكومة الإيرانية تستغل المنح الدراسية التي تقدمها الجامعات ومراكز الأبحاث في أمريكا؛ لترسل رموزها تحت ستار الدراسة، منهم: ثلاثة من نواب وزراء الخارجية الإيرانيين السابقين، وأحدهم كان مستشارًا لمرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي، حتى خلال عمله كباحث في جامعة هارفارد الأمريكية.

ومع تطور الأحداث، وتعقّد العلاقات وتشابكها؛ أصبحت الحاجة إلى تشكيل لوبي إيراني في أمريكا في تزايد يومًا بعد يوم، فهو أداة قوية وأقل تكلفة في دولة تتيح أوضاعها القانونية ذلك، الأمر الذي دفع بالمعارضة الإيرانية في أمريكا إلى تشكيل نواة للّوبي الإيراني الذي يسعى لحماية إيران من التدمير في صراع أمريكا مع نظام الملالي؛ على غرار ما تعرض له العراق من تدمير بحجة إسقاط نظام صدام حسين!

فاللوبي الإيراني يحثّ الإدارة الأمريكية على إسقاط نظام الملالي لا تدمير إيران، وقد وَجد نظام الملالي في ذلك فرصة لبعض المكاسب فوثّق علاقته بشكل غير مباشر بهذا اللوبي الإيراني الأمريكي.

فنائب وزير الخارجية الإيراني الأسبق صادق خرازي -الذي أقام في الولايات المتحدة بين عامي (١٩٨٩-١٩٩٦)، وتولى موقعه في الحكومة من (٩٧ وحتى ٢٠٠٣)- هو الذي بادر إلى التفكير جديًّا في التقاطع والاستفادة من هذا اللوبي في عهد الرئيس هاشمي رفسنجاني (٨٩-٩٧)، ثم تعاظم هذا التوجه في عهد خاتمي (١٩٩٧-٢٠٠٥)، ليشهد تراجعًا في عهد أحمدي نجاد (٢٠٠٥-٢٠١٣)، ليستعيد أهميته مجددًا بعد وصول روحاني إلى السلطة منذ (يونيو ٢٠١٣) وحتى الآن.

وكما هو ملاحظ؛ فإن منحنى صعود وهبوط التقاطع مع اللوبي يرتبط بانتماء الرئيس الإيراني للتيار المحافظ أو التيار الإصلاحي، حيث يركز الإصلاحيون على تحقيق أهدافهم بشكل ناعم، وبالعمل على اختراق مؤسسات الحكم الأمريكية، وهو ما تنبّه له الرئيس روحاني المحسوب على الإصلاحيين خلال زيارته الأولى للولايات المتحدة؛ حيث طالب الجالية الإيرانية المؤيدة للنظام أن تقوم بدور وطني، وتشكل مجموعات ضغط فعالة للتأثير على الرأي العام الأمريكي لمصلحة إيران.

وكعادة اللوبيات؛ فقد عمل اللوبي الإيراني على اختراق أجهزة الإعلام الأمريكية ومراكز الدراسات والأبحاث والمنظمات الحقوقية، حيث يتركز نشاط هؤلاء على الكونجرس، فيما كان لآخرين نشاط مرتبط بصناعة النفط، وهو ما ساهم في إيجاد مصالح مالية في أمريكا.

وتمثل هذا اللوبي في عدة مؤسسات بدأت بالنشاط الاقتصادي؛ حيث وقّعت حكومة رفسنجاني اتفاقًا مبدئيًّا مع شركة النفط الأميركية «كونوكو» لتنفيذ مشروع في إيران، وهو ما اعتبرته شركات النفط الكبرى الأمريكية إشارة إيجابية؛ فشرعت على إثرها في الإعداد لحملة تهدف إلى كسب تعاطف الرأي العام مع إيران، وسارع هوشنك أمير أحمدي -الأستاذ في جامعة روتجرز؛ الذي كان يعمل سابقًا مع الحكومة الإيرانية- إلى عقد

سلسلة مؤتمرات بين إيران وأمريكا لتعزيز الصداقة بين البلدين، ثم جاء (مشروع الخليج ٢٠٠٠)، عام (١٩٩٣) ليكون ثمرة هذه الخطوة.

أعقب ذلك تشكيل مجموعات ضغط إيرانية نشطة كان أبرزها: مندوبي شركات النفط الأمريكية الكبرى والمجلس الأمريكي-الإيراني، الذي أسسه هو: شنك أمير أحمدي عام (١٩٩٧) في أمريكا، وهي منظمة كانت تسعى إلى رفع العقوبات عن طهران، وشملت في عضويتها دبلوماسيين أمريكيين سابقين ومديرين تنفيذيين في قطاع النفط، بما في ذلك: شركة هاليبرتون وشيفرون وإكسون موبيل، وغيرها من الشركات، فيما كان يتلقى رئيسها أحمدي الدعم السياسي والمالي من طهران مؤكدًا في تصريحاته: أن المجلس منظمة ضغط نيابة عن إيران.

ونجح المجلس في أن يكون مركز ثقل، إذ تزامن وجوده مع اهتمام من إدارة كلينتون بالرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي، غير أنه فقد الكثير من مصداقيته بسبب علاقات أحمدي الوثيقة مع معسكر المحافظين الإيرانيين.

وتعد رابطة التجارة الإيرانية التي تأسست عام (١٩٩٧) واحدة من مؤسسات اللوبي الإيراني، وكانت تسعى للتأثير على السياسة الأمريكية، والعمل على دفعها لإلغاء العقوبات ضد إيران، حيث حظي مؤسسها شهريار أفشار بدعم شركة النفط «كونوكو» وشركات أمريكية أخرى، لكن أنشطة الرابطة توقفت عام (٢٠٠٣).

وقام تريتا بارسي -الذي كان حينها طالبًا يعيش في السويد ثم انتقل إلى أمريكا عام (٢٠٠١)- بإنشاء مؤسسة «إيرانيون للتعاون الدولي»، والتي اعتمدت على أعضائها في أمريكا لإرسال عرائض ومخاطبة أعضاء الكونجرس بضرورة رفع العقوبات عن إيران، غير أن هذه المؤسسة توقف عملها إثر ذلك عام (٢٠٠٢).

ولم يمنع توقف مؤسسة «إيرانيون للتعاون الدولي» بارسي من أن يواصل دوره؛ حيث عمل على تأسيس المجلس الوطني الإيراني الأمريكي (NIAC) عام (٢٠٠٢)، الذي سرعان ما تحول إلى الواجهة الرئيسة للّوبي الإيراني؛ حيث عمل المجلس على تحسين العلاقة بين أمريكا وإيران، وفتح الفرص التجارية بينهما، مما ساعده على الحصول على تمويل سخي من بعض شركات النفط الأمريكية.

■ الدور والأدوات والتمويل:

بات واضحًا للجميع أهمية الدور الذي لعبه اللوبي الإيراني في إيران ولا زال، وقدرة عناصره على الوصول إلى أعلى مؤسسة للحكم في أمريكا وهي: البيت الأبيض، فقد أفاد الموقع الإعلامي الأمريكي «واشنطن فري بيكون» بأن بارسي زار البيت الأبيض ثلاثًا وثلاثين مرة، في حين زاره الدبلوماسي ومساعد أمين مجلس الأمن القومي الإيراني الأسبق حسين موسويان ثلاث مرات على الأقل.

وكانت تتركز اللقاءات التي عقدها عضوا اللوبي الإيراني مع مسئولي البيت الأبيض على تقريب وجهات النظر بين أوباما وإيران حول توقيع الاتفاق النووي الإيراني، وهي الجهود التي عدّها البعض جزءًا بسيطًا من مجموعة ضغط تجاه هذا الاتفاق، بقيادة مسؤولين كبار في إدارة أوباما، كان لهم دور في تضليل الكونجرس الأمريكي حول طبيعة الاتفاق.

ولتحقيق هذا الدور السياسي الذي يقوم به اللوبي؛ فقد استند إلى عدة أدوات أبرزها: التغلغل في مراكز الفكر ومؤسسات صنع القرار الأمريكي، واستخدام وسائل الإعلام والتحدث من خلال هذه المنابر المهمة عن عدم فاعلية العقوبات الاقتصادية في التأثير على السياسة الإيرانية.

كذلك؛ فقد نجحت جهود اللوبي في تعزيز التعاون التجاري بين الشركات الأمريكية وإيران؛ حيث كشفت

صحيفة «لوفيجارو» الفرنسية أن هناك غزوًا سريًّا من قبل الشركات الأمريكية في مجال الأعمال الإيرانية في مجال البترول والغاز الطبيعي -الغنية بهما إيران-.

مضيفة: أن قطاعات الاقتصاد الأمريكي بما فيها: الشركات المدرجة في بورصة «ناسداك» أرسلت مندوبيها إلى إيران، والذين -غالبًا- ما يستخدمون جوازات سفر سويسرية، ويرسلون منتجاتهم إلى إيران عبر الدول المجاورة بشكل سري.

يضاف إلى ذلك: أن اللوبي الإيراني نجح في أن يقنع الإدارة الأمريكية بتعزيز التعاون مع إيران بشأن أفغانستان والعراق وسوريا واليمن، وغير ذلك من الملفات الإقليمية التي بدا فيها أن إيران لاعب قوي في تفاصيلها.

وتعد قدرة اللوبي على الترويج لدى الأمريكيين بأن لدى إيران استعدادًا لأن تطور من علاقتها مع «إسرائيل» واحدة من أهم الأدوات التي استخدمها، مستندًا في ذلك إلى أن مسافة شاسعة تفصل بين ما يردده قادة إيران حول «إسرائيل»، وحقيقة الموقف تجاه إقامة علاقات مشتركة، حتى أن بارسي أشار إلى أنه من الممكن أن يتعامل «الإسرائيليون» مع الإيرانيين كحليف محتمل، كاشفًا عن الضغوط التي مارسها شيمون بيريز عام (١٩٨٠) لإقناع واشنطن بتعزيز الدفاعات الإيرانية، بهدف إعادة طهران إلى الحظيرة الغربية، في حين أعلن أرييل شارون على قناة «بي سي إن»: أن «إسرائيل» ستستمر في بيع أسلحة لإيران؛ رغم الحظر الأمريكي.

ويأتي أخيرًا حسن استغلال اللوبي لمواقع وعلاقات عناصره، إذ ضم اللوبي الإيراني عددًا من الشخصيات ذات الحيثية في المجتمع الأمريكي وأبرزهم: سحر نوروزيان -إيرانية الأصل-، وكانت مستشارة الأمن القومي الأمريكي العليا، وموظفة سابقة في «المجلس الوطني الأمريكي الإيراني»؛ الذي كان يضم اثنين من الدبلوماسيين الأمريكيين السابقين -أيضًا- هما: توماس بيكرينغ -السفير السابق في «إسرائيل»-، وجون يمبرت -الذي احتجز رهينة من قبل النظام الثوري في عام (١٩٧٩)-.

كما تضم شبكة علاقات تريتا بارسي: مؤلف كتاب «اللوبي الإسرائيلي» ستيفن والت -من جامعة هارفارد-، والكاتبين: هومان مجد، ورضا أصلان،؛ فضلًا عن شخصيات من رجال الأعمال الإيرانيين مثل: عطية بهار، والناشط حسن داي.

وتضم قائمة الشخصيات -أيضًا-: فريال جواشيري -إيرانية الأصل-، وكانت تعمل ككاتبة خاصة للرئيس أوباما، ومساعدة له منذ كان عضوًا في الكونجرس، ورامين طلوعي -إيراني الأصل-، وقد عين عام (٢٠١٤) كنائب وزير الخزانة للشؤون الدولية، وفاليري جارت، أقرب المستشارات إلى أوباما، وأكثر الشخصيات تأثيرًا عليه.

ويحصل اللوبي الإيراني في أمريكا على تمويله المالي عبر دعم المجتمع المحلي؛ حيث يجمع اللوبي أموالًا من التبرعات والدعاية والضغط والعلاقات مع الكبار، بينما يأتي جزء من المؤسسات مثل: «صندوق بلاوشيرز»؛ التي أنفق ملايين الدولارات للتأثير على سياسة الولايات المتحدة تجاه إيران؛ وفقًا لمايكل روبين، مؤلف كتاب عن الدعم الإيراني لهذا اللوبي؛ فضلًا عن مؤسسة «بيناد علوي» التي أسسها شاه إيران عام (١٩٧٣) في نيويورك تحت اسم: «بيناد بهلوي»، ثم تغير اسمها بعد أن سيطر عليها الملالي إلى «بيناد مستضعفان» ثم «بيناد علوي»، ويسيطر عليها وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف، والتي تمتلك ناطحة سحاب في قلب مدينة نيويورك، تعود عليها بإيجارات ضخمة، تستخدمها في تمويل أكثر من (٣٠) مؤسسة تعليمية في عموم أمريكا.

وتنفق هذه الأموال -بالطبع- على أنشطة اللوبي، كما تستخدم لمكافأة الأكاديميين الذين يكتبون ما يرضي إيران والمؤسسات التربوية التي تُصدر دراسات تخدم مصلحة طهران.

■ مستقبل اللوبي الإيراني:

ولا شك أن النجاح الذي حققه اللوبي الإيراني بدفع الإدارة الأمريكية إلى توقيع الاتفاق النووي (٥+١) مع إيران؛ كان يعكس قدرة هذا اللوبي على تجاوز الكثير من العقبات والتحديات، والانتصار على الجهات التي ترغب في عرقلة التوصل للاتفاق، وهو ما يعد في الوقت ذاته دافعًا قويًّا لهذا اللوبي لأن يواصل نشاطه بل ويعمل على انتقاله لمرحلة أهم وأخطر.

وقد أشارت عدة صحف أمريكية إلى أن اللوبي الإيراني يقترب من تدشين مرحلة جديدة من العمل السياسي في أمريكا؛ حيث أعلن «المجلس الوطني الإيراني الأمريكي» عن الانتقال إلى هذه المرحلة الجديدة، وأنه يعتزم الإعلان عن إنشاء مجموعة ضغط «لوبي» إيرانية جديدة، تخوض غمار العمل السياسي مباشرة؛ على النحو الذي تفعله جماعات الضغط الأخرى مثل: اللوبي الصهيوني.

وأعلن المؤسسون للّوبي الإيراني الجديد على لسان المدير التنفيذي له جمال عابدي -وفق التقارير الأمريكية- أن الهدف الأساسي هو: استخدام الأموال التي يحصلون عليها؛ وخصوصًا من الإيرانيين في أمريكا من أجل القيام بنشاط سياسي فاعل ومؤثر ومباشر، قائلًا: «لقد حصلنا على كل هذه الأموال، وهي موجودة على الطاولة، وتمثل في حد ذاتها نفوذًا سياسيًّا لم نستخدمه بعد.. والآن بمقدورنا أن نبدأ فعليًّا في لعب اللعبة السياسية كاملة».

في حين أعلن المؤسسون للّوبي الجديد أن هدفهم المحوري هو: إحداث تحول سياسي في واشنطن؛ لصالح إيران طبعًا، وممارسة تأثير بعيد المدى على السياسة الأمريكية في مواجهة جماعات ضغط أخرى تناهض إيران وتنتقد -مثلًا- المفاوضات معها والاتفاق الأمريكي الإيراني، مؤكدين في الوقت ذاته: أنهم سوف يفتتحون (٣٠) فرعًا له في مختلف أنحاء أمريكا.

ومِن بين ما يعتزم اللوبي الجديد القيام به في المرحلة القادمة: التركيز على أمرين أساسيين:

أولهما: تمويل حملات مرشحين إلى الكونجرس الأمريكي والمواقع السياسية الأخرى.

وثانيهما: تنظيم الحملات السياسية المنتظمة دفاعًا عن إيران والترويج لعلاقات إستراتيجية جديدة بينها وبين أمريكا.

لكن في المقابل؛ ربما يشكل انتخاب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب -الذي يتبنّى مواقف أكثر حزمًا تجاه إيران- تحديًّا جديدًا أمام اللوبي الإيراني؛ إلا أنه في نهاية الأمر يمكن أن نصف دور اللوبي بأنه ناجح، إذ استطاع أن يحجّم من ردود فعل ترامب بعد وصوله للبيت الأبيض.

فقد كان أقصى ما فعله ترامب هو: فرض عقوبات جديدة بحق شخصيات ومؤسسات إيرانية، لكنه لم يستطع إلغاء الاتفاق النووي، أو حتى تصنيف الحرس الثوري الإيراني باعتباره منظمة إرهابية!

وهو في حد ذاته انتصار لإيران؛ ذلك أنه في كل الأوقات كانت هناك عقوبات أمريكية مفروضة على إيران.

وليس مستبعدًا أن يمارس هذا اللوبي حزمة من الضغوط التي تضطر الإدارة الأمريكية إلى عدم تجاوز نقطة بعينها في التعاطي مع إيران، وهو ربما ما تكشف مؤخرًا، والذي رغم عدم امتلاكنا أدلة على مسئولية اللوبي الإيراني عنه؛ إلا أننا لا نستبعد أن يكون وراءه بقصد الـ «بروبجندا»، أو رسالة للضغط، حيث قامت نهاية شهر (يوليو) من العام الجاري مجموعة تطلق على نفسها: «جيش حزب الله أمريكا» بتوزيع بيان مطبوع باللغة الفارسية في أمريكا، هددت بضرب المصالح الأمريكية داخل أراضيها في حال عدم انسحاب القوة البحرية الأمريكية من الخليج العربي، وذلك بالتزامن مع مصادقة الكونجرس على عقوبات جديدة تطال الحرس الثوري الإيراني.

■ كيفية المواجهة:

من المثير للدهشة: أن نشأة اللوبي السعودي في أمريكا سبقت اللوبي الإيراني؛ إذ تعود هذه النشأة إلى أواسط الثمانينيات؛ حين تم تعيين الأمير بندر بن سلطان سفيرًا للمملكة في واشنطن، وكان له الدور الأكبر في تطوير العلاقات السعودية– الأمريكية التي نجحت في أن تصمد أمام هزات عنيفة أشهرها: أحداث (الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م).

ومنبع الدهشة: أن اللوبي السعودي لم يستطع أن يحقق ما حققه نظيره الإيراني فيدفع الإدارة الأمريكية إلى أن تتحول عن توقيع الاتفاق النووي الذي يمثل تهديدًا حقيقيًّا لأمن المملكة والمنطقة بأكملها؛ ذلك أنه ليست هناك ضمانات حقيقية تمنع إيران عن الاستمرار في استكمال برنامجها النووي، أو اقتصاره على الجانب السلمي.

غير أن تفسير ذلك ربما يعود إلى افتقاد اللوبي السعودي إلى حاضنة شعبية قوية، كما هو الحال بالنسبة للوبي الإيراني، فعدد السعوديين المقيمين في الولايات المتحدة لا يقارن على الإطلاق بالإيرانيين الذين بلغوا الملايين، والسبب بالطبع أن المملكة ليست طاردة لأبنائها، فأغلب السعوديين المتواجدين بأمريكا هم زوار أو مبتعثين للدراسة.

لكن على كلٍّ فإن اللوبي السعودي يمتلك من الأدوات والإمكانيات ما يمكنه -في حال أحسنَ استغلالَها بالإضافة إلى تفعيل التنسيق مع بقية اللوبيات العربية الأخرى- أن يحقق قفزات هائلة، فاللوبي السعودي يتميز بقربه من كبار صناع القرار في الولايات المتحدة، ويقوم بتمويل عدد من مراكز الأبحاث والمؤسسات، ومنها: «معهد الشرق الأوسط، ومجلس سياسة الشرق الأوسط، ومؤسسة بيل وهيلاري وتشيلسي كلينتون»، ودعَم لفترة «مجلس الأطلسي» وهو مركز أبحاث للدراسات الإستراتيجية، يقدم النصح والإرشاد للنواب الأمريكيين.

ويحتاج اللوبي السعودي -والعربي بشكل عام- إلى أن يموّل حملات إعلامية في التلفزيون والصحافة للترويج لأهمية المصالح الأمريكية-العربية المشتركة سياسيًّا واقتصاديًّا، ويكشف عن الدور الإيراني الخبيث في المنطقة! وكيف أنها بالموقف الأمريكي السلبي ترتكب جرائم شنيعة.

كما أن مسألة التنسيق بين اللوبي السعودي وبقية اللوبيات العربية مهمة لأقصى درجة؛ ذلك أن اللوبيات الخاصة ببعض الدول يمكن أن تعوض النقص فيما يتعلق بالحضانة الشعبية، فالمهاجرون العرب من غير الخليجيين كُثر في الولايات المتحدة، ومن ثم فلا داعي لحالة التنافس فيما بين اللوبيات العربية؛ خاصة وأن المصالح العربية مشتركة، والأمن العربي واحد.

الحوثيون..
قراءة في التكوين النفسي

حِمير الحوري-كاتب يمني

خاص بـ «الراصد».

كشْف نفسية الإنسان يقود إلى فهم من هوَ؟

فمعرفة بنائه وتكوينه النفسي يُعرّفنا بنقاط ضعفه وقوته، وأيضًا يُعرّفنا ببواعث اختياراته الفكرية، وتلمّس اتجاهاته المستقبلية.

ومن الممكن أن تُدرس حالة التنظيمات والجماعات باعتبارها نفسية واحدة؛ ناتجة عن تجمع واسع لنفسيات متعددة، التقت قواسمها المشتركة؛ فذابت آحادها في الجماعة لتكوّن بمجموعها كتلة واحدة، يصلح أن نشبهها هنا بنفسية واحدة لها خصائصها المميزة وشخصيتها الاعتبارية.

وسنتناول في هذا المقال: النفسية المكوِّنة لجماعة الحوثي؛ التي نشأت في نهايات القرن الماضي في شمال اليمن، وأثّرت في الواقع اليمني ومحيط الجزيرة العربية، بل كان لها

مشاركات في أبعد من ذلك بكثير خارج مجالها الجغرافي، والتوقع أن يكون لها تأثيرات واضحة على مستقبل اليمن القريب.

وفي هذا المقال؛ نحاول التعرف عليها من الناحية النفسية، بعيدًا عن ضجيج الإعلام، وبعيدًا عن التناول الفكري البحت للجماعة وأفكارها؛ وذلك يساعدنا في معرفة إفرازات الجماعة القريبة على مستقبل اليمن والجزيرة العربية، كما يُمكّننا -أيضًا- من رصدها والتنبؤ بسلوكها؛ وذلك يعني: معرفتنا بطرائق مواجهتها، والسبل الملائمة للتعامل معها.

وهذه القراءة للتكوين النفسي للجماعة سنعرضها عبر تقنيات وتوصيفات يقررها علماء النفس في كتبهم، ويمكن تلخيصها في التالي:

- **التنقيب الأثَري:**

التنقيب الأثري هو: عملية بحث في بقايا آثار المجتمعات الغابرة؛ التي من الممكن أن تدل على طبيعة حياتها وسلوكياتها في تلك الحقبة، ومن الممكن أن تنعكس في سلوك الأجيال التالية لها.

وفي تنقيبنا في النفسية الحوثية وسبر أغوارها البعيدة نجد آثارًا ومعالمَ ضاربة في التاريخ، لكنها مؤثرة وبشكل حيوي في النفسية الحوثية المعاصرة؛ فكرًا وسلوكًا، وتلك «الحفريات» الأثرية في النفسية الحوثية يتلخص أهمها في:

- **تعصب سلالي واضح،** يظهر في حركات التمرد المستمرة التي قادها أجدادهم بحجة النسب الطاهر وما لديهم من آثار نبوية تعطيهم الحق في الحكم والسيطرة!
- **ارتباط الذهنية التاريخية للنفسية الحوثية بمعارك وصدام دائم،** شكّل السمة الملازمة للذاكرة الحوثية، ولا يخفى ما لذلك من أثر على تكوين نفسية الجماعة، وانعكاسه السلبي على الإدراك والسلوك.

ولعل هذا يفسر لنا سر استماتة الجماعة في التمسك بالسلاح كخيار مصيري في عملية التغيير التي ينشدونها.

تلك الآثار المخبوءة في أعماق النفس الحوثية هي التي يعمل الحوثيون على إحيائها فكرًا؛ كما في ملازم حسين الحوثي، أو سلوكًا؛ كما في الحراك العسكري الذي اشتعل في العقود الثلاثة الأخيرة.

ومن خلال هذا التنقيب في جذور الجماعة تتضح الأرضية السلالية[1] والعصبوية التي نشأت عليها الجماعة، وتؤثر بشكل واضح في تشكيل سياستها الحالية.

- **تقنية المشاركة الحرة:**

هذه التقنية تعني: السماح للنفس بالتعبير في وسط عالٍ من الحرية أو بطريقة عفوية، بقصد استكشاف ما يدور في داخلها من أفكار وإرادات؛ تظهر بطريقة انسيابية دون قيود.

وفي حال الاسترخاء النفسي للجماعة الحوثية، والتعبير العفوي عن مكنوناتها الفكرية وتوجهاتها السياسية فيما يتعلق بالآخر -كمثال- من الممكن أن تُسَجل الملاحظة التالية:

الآخر في الذهنية الحوثية ما هو إلا عميل أو خائن، ولا مكان لفكرة التشاركية الندية معه.

تجليات هذه النزعة المتأصلة في النفسية الحوثية لا نقول: إنها تظهر مع خصومهم في الشرعية فقط؛ إنما مع حلفائهم من حزب المؤتمر أيضًا، فقد وضع الحوثيون على كل مرفق حكومي أو إدارة تخضع لحزب المؤتمر مندوبًا حوثيًّا يشرف ويتابع كل التفاصيل، ولا اعتبار هنا لوزير أو عضو مجلس الشعب، فحلفاؤهم ليسوا موضع ثقة؛ فضلًا عمّن سواهم.

فالآخر -إذًا- لا اعتبار له عندهم! إلا بما يخدم أفكارهم وتوجهاتهم.

تلك النزعة أدّت إلى فجورهم في الخصومة؛ لدرجة أن وضعوا

---

(١) أكدت الوثيقة الفكرية والثقافية التي حررها الحوثيون بتاريخ (١٠/٢/٢٠١٢م)، على أحقية الإمامة والرئاسة في ذرية علي ﷺ؛ التي يدعي الحوثي الانتساب إليها!

صور خصومهم في مناهج التعليم بجوار آيات النفاق، بطريقة فجة! وبأسلوب يضر بمناهج التعليم[1] وعقول الأجيال.

وانعكاسًا لهذا التكوين النفسي الخطير في النظرة العلوية للنفس والدونية للآخر لم يبالوا بتفجير منازل خصومهم بل ومراكز القرآن الكريم التابعة لمنافسيهم، في سلوكٍ عملي يعكس طبيعة تكوينهم النفسي.

- **الوعي النفسي:**

الوعي هو: جوهر الإنسان وخاصيته التي تميزه عن باقي الكائنات الحيّة الأخرى، فالوعي يصاحب كل أفكار الإنسان وسلوكه، فوعي الإنسان يُعد وعيًا تلقائيًّا، كما أن ارتباطه بالأحاسيس والمشاعر يضيف إليه بُعدًا آخر، يُعرف بـ «الوعي النفسي»، يظهر هذا الوعي في الحياة العمليّة، وقد يتجسد في شكل وعي سياسي أو ديني.

ولو بحثنا في سؤال: كيف تعي الشخصية الحوثية نفسها؟ لوجدنا أن ذلك الوعي النفسي يدور حول نقطة مركزية وهي: الأحقية السياسية في الحكم، ومن الممكن أن نطلق عليها: «الذات السياسية».

وهذه الذات أسهمت في تشكيل الوعي النفسي للجماعة بشكل كبير، فالنفسية الحوثية ترى أنها تعيش لتحكُم، ولا مشكلة لديها بشكل الحكم أو الطرائق الموصلة إليه! فالوعي الذاتي والنفسي يدفعها لإعلان الولاء والحب لكل من يسندها في مشروعها السياسي.

فالنفسية الحوثية التي تضخمت لديها الذات السياسية؛ لا مشكلة لديها في التحالف حتى مع من يكفرّها دينيًّا؛ كما هو الحال في تحالف الجماعة مع إيران الإمامية التي يرى مذهبُها الرسمي كفرَ الحوثي؛ وفقًا لمعتقدات الإثنى عشرية.

وتلك النفسية السياسية المهيمنة على الوعي الحوثي تأخذ مبرراتها من تراثها الديني الجارودي؛ الذي يرى أحقيتها في الحكم تفضيلًا إلهيًّا!

- **اضطرابات الشخصية:**

نجد أن الاضطرابات النفسية -بحسب المختصين- تتميز بأنماط سلوكية وإدراكية ثابتة وصعبة التغيير والتأقلم، وتظهر هذه الأنماط غير السوية خلال السياقات التفاعلية المختلفة للشخصية، وتجنح بعيدًا عن السلوكيات المقبولة لثقافة المجتمع.

وتتكون هذه الأنماط غير السوية -غالبًا- أثناء مراحل النمو، وتكون ذات طبيعة غير مرنة وغير متكيفة، ودائمًا ما يصاحبها قدر من التوتر والضغط النفسي.

هذا التوصيف العام لمفهوم الاضطرابات النفسية نجد خطوطه فاقعة في النفسية الحوثية العامة، ويمكن أن نتناول مظاهر اضطرابات النفسية الحوثية في جملة خطوط:

- **نمط سلوكي وإدراكي ثابت وصعب التغيير والتأقلم؛** يستشعر هذه المشكلة أكثر من غيرهم السياسيون الذين اشتركوا مع الحوثيين في جلسات عمل سياسي، أو حتى جلسات حوار مذهبي.

فالنفسية الحوثية متصلبة على مستوى الإدارك والسلوك، فالإدراك يظهر في تمسكهم بما يشبه ولاية الفقيه، ويريدون أن يكون زعيم الجماعة سيّدًا على كل اليمنيين؛ دون مراعاة لقوى المجتمع الأخرى.

فالإدراك عندهم -هنا- لم يستطع تجاوز نموذج حزب الله اللبناني، إذ يسعون لتطبيق ذلك النموذج دون مراعاة للحالة اليمنية.

أما على مستوى السلوك؛ فإن الثبات على حالة الخطاب الاستعلائي مع المكونات الأخرى والمجتمع اليمني والإقليمي قاد

(١) يراجع مقال: (تغيير طائفي ممنهج للمناهج الدراسية في اليمن) للكاتب صالح البيضاني على الشبكة العنكبوتية.

اليمن إلى أزمة حقيقية، ومردّ ذلك كله إلى هذا النمط المتصلب الذي تعاني منه النفسية الحوثية!

▣ **السياق التفاعلي مع المجتمع يبرز تلك الاضطرابات ويثبتها**، فحين اشترك الحوثيون في مؤتمر الحوار الوطني ظهر ذلك الاضطراب النفسي للجماعة بشكل مقزز! ففي أثناء الحوار مع الدولة ومكونات المجتمع اليمني بمؤتمر الحوار الوطني كانوا يحملون السلاح على الدولة، ويقاتلون المجتمع اليمني في دمّاج والجوف وحَجّة في نفس الوقت، في تناقض ومراوغة فجة! لا تقيم وزنًا لأيّة اعتبارات دينية أو سياسية.

▣ **النفسية الحوثية لا تتسق مع شخصية المجتمع اليمني العامة**، فهو مجتمع يقوم على تقدير الآخر واحترام الذات، ومجتمع يملك ذاكرة سياسية حية ما زالت تذكُر بشكل واضح تاريخ الإمامة السيئ في اليمن.

غير أن النفسية الحوثية -نظرًا للاضطرابات النفسية التي تعاني منها- لا تُقدّر ولا تُراعي كل هذا، وتريد فرض واقع ثقافي وسياسي شاذ لا يتسق مع بُنية المجتمع الثقافية تمامًا، وهو ما يعني: خلق حالة من الانقسام الحاد والمزمن في المجتمع اليمني.

▣ **غالبًا ما تؤثر مراحل النمو في خلق الاضطرابات النفسية**، ونجد أن الحوثيين؛ سواء في ولادتهم المعاصرة ونموهم القريب، أو في ولادة فكرة السلالية في الحقبة التاريخية البعيدة؛ والتي شكلت ذاكرتهم السياسية لاحقًا، تلك الولادة الحوثية عانت من تشوهات وآلام أسهمت في خلق نمط حاد ودموي، أصبح مرتبطًا عضويًّا بنفسية الجماعة وسلوكها.

▣ **كما أن السمة الجامعة في اضطرابات الشخصية هي**: التوتر والضغط النفسي، وهذه السمة تفسر لنا هذا التشنج الحوثي الدائم القائم على التخوين وتضخم فكرة المؤامرة، ففي حين يبادرون لقتل وتشريد المجتمع يتهمون أمريكا بذلك، وفي حين ينادون باللعنة على اليهود، تتوجه لعنات بنادقهم نحو المجتمع اليمني لا المجتمع الصهيوني!

• **نفسية ذات طابع درامي**:

تُعد الشخصيَّة الدراميَّة -أو ما يعرف بالاستعراضيَّة- من أكثر الشخصيات المثيرة للجدل والمحيرة، كما أنّها تعاني على الدوام من التناقض على المستوى الشخصي؛ لدرجة أنّه يصعب كثيرًا تفسير سلوك هذه النفسية على وجه الدقة لمخالفتها المعقولات.

والشخصية الحوثية تُعد ذات نفسية درامية بما للكلمة من معنى، والنفسية الدرامية -كما يشير أهل الاختصاص- لها جملة سمات منها:

▣ **معاداة المجتمع**: فالنفسية الحوثية ذات نمط سلوكي معادٍ ومتجاهل ومنتهك لحقوق الآخرين، فهو عبارة عن صورة ذاتية منتفخة، ومجموعة سلوكيات استغلالية ومتهورة.

ونلاحظ مطابقة هذه السمة - معاداة المجتمع - للنفسية الحوثية بشكل فاقع وملفت، ويتمثل ذلك جليًّا في فشلها بالتزام المعايير الدينية والاجتماعية، وعدم احترام السلوكيات القانونية، ويظهر -أيضًا- في تمرسها في الخداع من خلال الكذب مرارًا، وتسمية الأمور بغير مسمياتها، فبشار الأسد -عندهم-: مناضل، وتفجير المساجد: جهاد![1]

كما تتسم النفسية الحوثية في إطار معاداتها للمجتمع بالاندفاعية والانفعالية والعدوانية، وهذا مشاهَد في إلقاء عناصرهم في التهلكة ودخولهم معارك غير محسوبة.

فهي نفسية تستخفّ بسلامة نفسها؛ فضلًا عن عدم مبالاتها بسلامة الآخرين، وهي لا تتحمل المسؤولية باستمرار، وترمي المسئولية على الآخرين بطريقة فجة، فالسبب في ما آلت إليه اليمن

---

(١) يعتبر الحوثي هذه المساجد: (مساجد ضرار)! وهي نفس الحجة والسلوك اللذين مارستهما الإمامية -قديمًا- مع مخالفيها.

من صراع واسع ودموي يتحملها خصومهم فقط -في نظرهم-؛ أما هم فليسوا سوى حَمامات سلام!

كما أنها نفسية تفتقر إلى الإحساس بالندم، ويتضح في كونها غير مبالية بالألم التي تسببت به لكل اليمنيين وجيرانهم، بل إنها تبرر وجوده!

▪ **شخصية حدية:** وهذا يظهر في عدم الاستقرار في العلاقات مع الأطراف والكيانات الأخرى، حتى الزيدية منها.

وهذه الحدية في النفسية الحوثية تظهر -أيضًا- في مفهوم الذات والهوية، فهم الجماعة التي ترى في نفسها علوًا على الآخرين وتميزًا لا يطاوله أحد! -رغم حالة الفقر المعرفي والسلوكي الذي تعانيه-.

وتلك الحدية في النظرة للذات نتج عنها بطبيعة الحال: الحدية في السلوك والممارسة!

▪ **شخصية هستيرية:** في قراءة المكون النفسي للحوثيين نلحظ أن هذه السمة –الهستيرية- أبرز مكوناتها.

فالمباهاة وحب الظهور صفة ملازمة للنفسية الحوثية، فلا يكاد يوجد مناسبة أو حادثة إلا وللجماعة فيها خطاب وصراخ لمجرد تسجيل الحضور السياسي والديني، وتضليلٌ للمجتمع عن القضايا الكبرى.

وهي نفسية استعراضية، ويظهر ذلك في حجم الإنفاق الإعلامي والدعائي لتغطية هذه الحاجة النفسية المكونة للجماعة، والميل للمبالغة صفة مميزة للنفسية الحوثية؛ مع الكذب والتلون والانفعالات السطحية والسريعة تبعًا للمصلحة، فالذات الحوثية مُقدمة على ذات المجتمع وصالحه.

• **الخلاصة من كل ذلك:**

أن النفسية الحوثية في مجملها: شاذة فكرًا وسلوكًا!

وهذا يعني: أن الجماعة تُشكل عقبة حقيقية في طريق مستقبل اليمن، وستكون مصدر إزعاج للمجتمع اليمني، وخلال العقود القادمة ستشغل المجتمع بقضايا ثانوية ومسائل دعائية لا تشكل في ظاهرها ولا مضمونها أي قيمة حضارية.

ومعالجة هذه النفسية للجماعة تتطلب -بالإضافة إلى عمليات الردع والتأديب والتقزيم- جهودًا إعلامية وتوعوية ضخمة، وإعادة تأهيل فكري وسلوكي لعناصر الجماعة قدر الإمكان.

وسيكون من الحكمة محاولة حصر هذه الجماعة في جغرافيا ضيقة في اليمن؛ إن صعب إزالتها من الخارطة اليمنية، مع الاهتمام بتحصين المجتمع وتنويره من أفكارها الضارة.

زيارة كبير أساقفة كانتربري للسودان.. تجديد المشروع التنصيري بعد انفصال الجنوب

د. محمد خليفة صديق- كاتب سوداني

خاص بـ «الراصد».

مقدمة

مشروع تنصير السودان كان ولا زال أحد المشروعات الكبرى التي تعمل لها الكنيسة، بمختلف مسمياتها وطوائفها في العالم، وكان أبرز ثمرات هذا المشروع الضخم: انفصال جنوب السودان ليكون دولة مستقلة مسيحية علمانية، ولتكون هذه الدولة الوليدة سدًّا منيعًا أمام تمدد الإسلام جنوبًا باتجاه إفريقيا جنوب الصحراء.

وظل حلمُ تنصير السودان يراود الكنيسة حتى بعد انفصال الجنوب، وسعت لتثبيت وتوسيع الوجود النصراني في السودان؛ خاصة المناطق المتاخمة لجنوب السودان مثل: جنوب كردفان (جبال النوبة)، وجنوب النيل الأزرق، وغيرها.

وضمن حلقات تجديد المشروع التنصيري للسودان تأتي الزيارة الأخيرة لجاستين ويلبي -كبير أساقفة كانتربري، ورأس الكنيسة الإنجيليكانية الأسقفية في العالم- للسودان، مع وفد كبير

من أساقفة هذه الكنيسة على مستوى العالم؛ لافتتاح مجمع الكنيسة الأسقفية السودانية، وهو المجمع الإنجليكاني رقم (٣٩) في العالم، وتنصيب المطران حزقيال كندو -رئيس الكنيسة الأسقفية السودانية وأسقف الخرطوم-؛ ليكون كبيراً للأساقفة بالسودان، وهي الخطوة الأولى من نوعها بعد انتقال الكنيسة الأسقفية القديمة إلى دولة جنوب السودان عقب الانفصال.

يناقش هذا المقال النشاط التنصيري وتاريخ وجود الكنيسة الأسقفية بالسودان، وبمنطقة جبال النوبة تحديدًا، ودور الاستعمار الإنجليزي في توسيع العمل التنصيري في تلك المناطق، وزيارة كبير أساقفة كانتربري، وافتتاحه لمجمع الكنيسة الأسقفية السودانية؛ الذي يعتبر الأول في السودان بعد انفصال دولة جنوب السودان.

حيث تعد الكنيسة الأسقفية من الكنائس التي لها أتباع كثر، أغلبهم من أبناء جبال النوبة؛ الذين ينحدرون من ولاية جنوب كردفان بالوسط الغربي للسودان.

كما يناقش المقال أبعاد هذه الزيارة، ودورها في تجديد المشروع التنصيري في السودان، وجبال النوبة تحديدًا.

■ من تاريخ التنصير ونشاط الكنيسة الأسقفية بالسودان:

دخل الإسلام باكرًا لمناطق الغرب الأوسط للسودان (كردفان وجبال النوبة وماجاورها) منذ القرن السادس عشر الميلادي، بتمدد نفوذ دولة سنار الإسلامية، كما احتضنت أرض كردفان ممالك إسلامية مثل: مملكة تقلي، ومملكة المسبعات؛ والتي تعتبر من أعرق الممالك الإسلامية السودانية، وقد آوت المنطقة ونصرت الإمام محمد أحمد المهدي؛ زعيم الثورة المهدية، التي سيطرت على السودان في الفترة من (١٨٨١) وحتى (١٨٩٩م).

تعود بداية الوجود المنظم للمسيحية في كردفان إلى عام (١٨٧١م)، بتأسيس كنيسة ومدرسة بمدينة الأُبيض، بتوجيه ودعم من الأب دانيال كمبوني، ومنها امتدت بعملها إلى جبال النوبة؛ لتدريب الأهالي علي الاكتفاء الذاتي من الغذاء عبر الزراعة كمدخل للتنصير، حيث تم تأسيس بعض المراكز والإرساليات؛ والتي خرجت بعد اندلاع الثورة المهدية، وكانت سياسة الأب كمبوني تقوم على إقامة قرى كنسية لمن تم تنصيرهم في جبال النوبة في مناطق منعزلة، على مسافة يوم أو يومين من أقرب مركز سكاني لإبعادهم تمامًا عن المؤثرات الإسلامية.

ويعتبر الأب ليوللين قويني (١٨٦٣-١٩٥٧م) أول من بذر بذور الكنيسة الإنجيليكانية الأسقفية في السودان، وكان من أبرز المتعصبين لمشروع تنصير السودان، وهو أول من أقام مطرانية منفصلة للكنيسة الإنجيليكانية في مصر والسودان، وكانت سياسة هذه الكنيسة لتنصير المسلمين تقوم على أساس الخطاب المباشر، وبث التعليم والخدمات الصحية.

كانت فترة الاستعمار الإنجليزي للسودان (١٨٩٩-١٩٥٦م) هي الفترة الذهبية لنشاط التنصير فيه، وكانت للاستعمار اليد الطولى في تقوية ودعم النشاط التنصيري في البلاد؛ خصوصًا مناطق جبال النوبة؛ ففي عام (١٩١٩م) أصدرت الإدارة الإنجليزية أمرًا رسميًّا بدعم العمل التبشيري في جبال النوبة من قبل الحكومة، وتم افتتاح مركز «هيبان» التنصيري في عام (١٩٢٠م)، ويعتبر حتى الآن المركز الرئيس.

وتوالت من بعده المناطق الأخرى، بدعم كامل وسند رسمي من حكومة المستعمر، ومنها تم تخصيص إرسالية السودان المتحدة لرعاية التبشير والتدريب ودعمه، قبل أن تتولى الكنيسة الأسقفية زمام الأمر في عام (١٩٣٤)؛ فافتتحت لها عدة مراكز في كل من: «سلارا، كادقلي، عبري، هيبان، كاتشا، كاودا، مورو، تالودي، تبانيا»، وتم دعم ذلك العمل حتى خروج الأجانب في عام (١٩٦٢) ليتولى الخريجون السودانيون من النوبة الأمر من بعد؛ للحفاظ على جذوة التنصير متقدة.

قام الاستعمار الإنجليزي بقفل منطقة جبال النوبة منذ

(١٩٤٣م) وحتى استقلال السودان في (١٩٥٦م) في وجه المسلمين، فأصدر المفتشون الاستعماريون الإنجليز تعليمات بعدم دخول أي عنصر مسلم أو عربي لجبال النوبة إلا بتأشيرة دخول، وسعى لمحاربة كل ما هو إسلامي وعربي، ومنع التواصل بين قبائل الشمال وسكان جبال النوبة.

وأطلق يد القساوسة والمنصرين لتنصير أبناء المنطقة؛ خاصة في المنطقة الجنوبية من كادوقلي عاصمة جبال النوبة؛ لزراعة الكراهية بين أبناء النوبة والقبائل غير النوبية؛ وخاصة الدعاة الذين نشطوا في نشر الإسلام في جبال النوبة.

وقد استغلت الإرساليات التنصيرية عملها في المسح الميداني لمرض الجذام الذي ضرب المنطقة في تلك الفترة؛ لنشر التبشير الكنسي، وإبعاد كافة مظاهر العروبة والإسلام في هذه المناطق، وعملت على ترجمة الأناجيل إلى اللغات واللهجات المحلية وكتابتها بالحروف الإنجليزية للمكونات القبلية في المنطقة؛ كما في حالة «الأطورو، هيبان وغيرها».

كما دعت الإدارة الاستعمارية المؤسسة التنصيرية المسماة بـ (الإرسالية المتحدة) لمباشرة جهودها في التنصير في جبال النوبة، ثم دعت كذلك (الجمعية المسيحية الإنجيليكانية) لفتح عدد من المدارس والمراكز والمحطات التبشيرية في المنطقة، حيث تمكنت الأخيرة من فتح مدرسة في منطقة سلارا في عام (١٩٣٥م)، تبعتها مدارس أخرى في عدد من المناطق.

تواصل النشاط التنصيري المحموم في جبال النوبة حتى بعد خروج المستعمر من السودان في (١٩٥٦م)، وكانت فترة حكم الرئيس إبراهيم عبود (١٩٥٨-١٩٦٤) من أفضل الفترات التي تمت فيها محاربة التبشير النصراني في جبال النوبة وجنوب السودان، وبذلت فيها جهود مقدرة لدعم الوجود الإسلامي في تلك المناطق ونشر اللغة العربية.

ويلاحظ أن كل الجهود التنصيرية في السودان تحاول دائمًا الربط بين جبال النوبة وجنوب السودان، ومعظم منظمات التبشير الكنسي التي تعمل في جبال النوبة تحت غطاء (العمل الإنساني والتنموي) لها فروع في جنوب السودان، مثل: «منظمة سمارتن بيرس الأمريكية، ومجلس الكنائس النرويجي، ومنظمة العون الكنسي الأمريكي، ومنظمة سودان إيد، ومنظمة العون الكنسي الدنماركي، ومنظمة مثلث سرف جاموس -التي تُصدر نشرة اسمها: (استيقظ)-، ومنظمة مدير البريطانية، ومنظمة كير السويسرية للإغاثة، ومنظمة سول للتعليم»، وعدد آخر كبير من المنظمات والجمعيات.

وقد أسست هذه المنظمات أكثر من (٩٠٠) كنيسة في جبال النوبة في الفترة ما بين (٢٠٠٢-٢٠١١) معظمها مشيدة بمواد ثابتة، وأثاث فاخر، منها حوالي (٣٠٠) كنيسة في المنطقة الجنوبية ومحلية برام، وأكثر من (٢٠٠) كنيسة في أم دورين وما جاورها، وأكثر من (١٣٠) في هيبان، وأكثر من (١٣٠) في كاودا وما جاورها، وأكثر من ١٢٠ في مناطق دلامي.

من الأسباب التي خففت من غلواء النشاط التنصيري في جبال النوبة: النشاط الذي قاده الفقيه السوداني محمد الأمين القرشي في جبال النوبة بداية الأربعينيات إلى منتصف الخمسينيات بمناطق الدلنج وما جاورها، وقد تخوفت الإدارة الاستعمارية من نشاط الشيخ القرشي، وعرضت عليه منصب قاضي قضاة حضرموت ليتخلى عن نشاطه الدعوي، كما نشط الشيخ البرناوي في منطقة الليوي وكالوقي وتلودي، وكان لهذه الجهود وغيرها دور كبير في عدم دخول المسيحية في الجزء الأوسط والشمالي والشرقي والغربي لجنوب كردفان.

ومن أبرز نشاط المنصرين بالمنطقة: ما قام به د. ديفيد رودن -أستاذ الجغرافيا في جامعة الخرطوم عام (١٩٦٤)- من تدريب لأبناء جبال النوبة على طباعة الإنجيل باللغات المحلية، وما قام به القس دون أبو سيل -راعي الكنيسة الرسولية الجديد-،

والذي نشط في التنصير في المناطق الطرفية والعشوائية، وكان للقس الأمريكي جون دانفورث والبارونة الإنجليزية كارولين كوكس دور كبير في دعم جهود التنصير وحركات التمرد في المنطقة.

وظهرت مؤسسات نصرانية أخرى مثل: «الكنيسة الأرثوذكسية الإسرائيلية، وشهود يهوه، والكنيسة الخمسينية» وغيرها، نشطت في جمع الأطفال المشردين من الحرب وشظف العيش وتنصيرهم؛ حيث تستخرج لهم أوراقاً ثبوتية، وترسلهم بالبر لدول الجوار، ومن ثم إلى أوربا، ويتم تدريبهم على وسائل التنصير وباللغة العربية، ثم ترسلهم لمناطقهم ووسط قبائلهم.. وتقوم بتمويل مشاريعهم جمعية «حملة المسيح» التنصيرية، ومقرها كينيا.

وهذه الجهود الكبيرة للتنصير في جبال النوبة لم ترد الكنيسة أن تضيع هكذا، وحاولت جاهدة بكل السبل أن تدعمها بزيارات القيادات الكنسية العالمية، وبالدعم المادي والعيني وغيره.

ومن المحطات المهمة في العمل التنصيري المعاصر في السودان: زيارة بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني للخرطوم في فبراير (١٩٩٣م)، ورغم الاستقبال الرسمي والترحيب الذي لاقاه يوحنا بولس الثاني، لكنه في لقائه بالرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون في (أغسطس ١٩٩٣م) أيد القرار الأمريكي بفرض العقوبات على السودان، ووضعه على قائمة الدول الراعية للإرهاب، وكان البابا قبلها بشهر واحد يجتمع مع قيادات التنصير الكنسي لبحث سبل العمل في السودان.

وتلا ذلك مجموعة القرارات الدولية والأمريكية الخاصة بالسودان للتضييق عليه وحصاره؛ لإعطاء فرصة أكبر لمؤسسات التنصير لاختراقه عبر العمل الإغاثي والطبي، فصدرت قرارات تدين السودان من الأمم المتحدة ومنظمة العفو الدولية وصندوق النقد الدولي، ووصل الأمر إلى التهديد بإقامة مناطق آمنة للنصارى في السودان.

كما أرسل بابا الفاتيكان رئيس الأساقفة الألماني بول كوردز مبعوثًا شخصيًّا له إلى السودان في تلك الفترة، وأعلن راديو الفاتيكان عن منظمة تنصيرية جديدة للعمل في السودان باسم: «السامري الصالح».

ويبدو أن الزيارة الحالية لكبير أساقفة كانتربري، ورأس الكنيسة الإنجيليكانية الأسقفية في العالم؛ تأتي في هذا الإطار لتجديد وتعضيد النشاط التنصيري في السودان؛ خاصة في مناطق نفوذ الكنيسة الإنجيليكانية الأسقفية في جبال النوبة بولاية جنوب كردفان.

- **من هو جاستين ويلبي كبير أساقفة كانتربري؟**

ولد القس ويلبي في لندن في عام (١٩٥٦م)، وهو من أصول يهودية ألمانية؛ حيث هاجرت عائلته من هناك إلى بريطانيا، وتلقى تعليمه في كلية أتون وكلية ترينتي كامبردج؛ حيث درس القانون والتاريخ لمدة (١١) عاماً، خمسة منها في باريس، وستة في لندن، ويعمل الآن في صناعة النفط، وأصبح أمينًا لصندوق مجموعة شركة الاستكشاف والإنتاج البريطانية، وكان عضوًا في كنيسة سانت مايكل في باريس.

حصل على درجة عُليا في اللاهوت من كلية سانت جون دورهام، بالتركيز على موضوع الأخلاق في مجال العمل، وفي عام (٢٠٠٧م) تم تثبيته كعميد لكاتدرائية ليفربول، وفي عام (٢٠١١م) أعلن أنه الأسقف الجديد لدورهام، وفي (نوفمبر ٢٠١٢م) أعلن جاستن ويلبي كمساعد لأسقف كانتربري، وفي (فبراير ٢٠١٣م) أصبح رسميًّا كبيرًا لأساقفة كانتربري.

كشف ويلبي في مؤتمر صحفي كبير في (أبريل ٢٠١٦م) أنه ابن غير شرعي لآخر سكرتير شخصي لرئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل، خلافًا لما كان يُعتقد بأنه ابن تاجر الويسكي غافن ويلبي؛ وذلك عبر فحص الحمض النووي، حيث ذكر ويلبي أن ذلك لا يشكل صدمة له، بل لا زال يفتخر بأمه.

وقد ذكرت صحيفتا ديلي تلغراف والتايمز آنذاك أن قانون الكنيسة البريطانية كان لمدة قرون لا يسمح للأبناء المولودين لآباء غير شرعيين بتولي منصب كبير الأساقفة، لكن تعديلًا جرى في الخمسينيات على القانون أباح توليهم المنصب.

■ **أبرز محطات زيارة كبير أساقفة كانتربري:**

أولى محطات زيارة ويلبي كانت: افتتاح مجمع الكنيسة الأسقفية السودانية، وهو المجمع الإنجليكاني رقم (٣٩) في العالم، وتنصيب المطران حزقيال كندو رئيس الكنيسة الأسقفية وأسقف الخرطوم؛ ليكون كبيرًا للأساقفة بالسودان، بحضور عدد من المسؤولين السودانيين، وأساقفة وممثلي مجامع كنسية مثل: المجمع الإنجليكاني الأفريقي، ومجمع جنوب السودان، ومجمع يوغندا، ومجمع مصر، ومجمع سنغافورة، ومجمع الصين.

وخلال الاحتفال الذي أقيم بكاتدرائية جميع القديسين بحي العمارات بالخرطوم كشف مسجل الكنيسة (أبو القاسم هابيل كومي) أن مجمع الكنيسة الأسقفية يتكون من أبرشية الخرطوم، كادوقلي، بورتسودان، ود مدني، وظهرت فكرة قيام مجمع داخلي في السودان منذ عام (٢٠٠٩م)، عندما كان واضحًا أن جنوب السودان سيكون دولة مستقلة.

وفي اجتماع اللجنة المركزية للمجمع في رومبيك بجنوب السودان قدمت المجموعة الشمالية مقترح أثنى عليه المجمع العام الإقليمي الذي عقد في عام (٢٠١١م)، ونتيجة لذلك أصدر رئيس أساقفة السودان وجنوب السودان الأمر الثابت رقم (١) عام (٢٠١٣م) بإنشاء وإقامة مجمع السودان الداخلي، وتم انتخاب حزقيال كندو كأول رئيس أساقفة للمجمع.

في (يوليو ٢٠١٦م) زار وفد المجلس الاستشاري الإنجليكاني السوداني، برئاسة الأمين العام للمجمع الإنجليكاني، ورئيس أساقفة أستراليا، وممثل رئيس الأساقفة، وكان الهدف من الزيارة: معرفة ما إذا كان المجمع الجديد يفي بالمعايير الكنسية، وفي (سبتمبر ٢٠١١م) صوّت المجلس الاستشاري بالإجماع على إنشاء المجمع رقم (٣٩) في السودان.

يلاحظ خلال الاحتفال: أن معظم الذين تحدثوا من القيادات الكنسية يحملون أسماء عربية وإسلامية! مما يشير إلى أنهم من عائلات مسلمة، وأنهم ضحايا عمل تنصيري كبير وقوي، مثل: مسجل الكنيسة (أبو القاسم هابيل كومي)، ومقدم فقرة التحضير القس (حسن الفيل) -عميد كاتدرائية جميع القديسين-؛ الذي تناول فيها قراءات من الإنجيل، وفقرة الاعتراف العام التي قدمها عميد المجمع ومطران الأبيض الأسقف (إسماعيل جبريل)، وقدم فيها دعاء من أجل المجمع الجديد، ودعاء الأحد، ومقدم فقرة قراءة الإنجيل الأسقف (عبد النور كودي) -مطران أبرشية أم درمان-، وفقرة الإيمان والممارسات القس (موسى أبو جم) الأمين العام للمجمع.

وخلال ذات الاحتفال أدى المطران حزقيال كندو القسَم بحماية ودعم الدستور وقوانين الكنيسة، وتكريس نفسه من أجل الإنجيل، وقدم عهد الطاعة أمام مطارنة أبرشيات السودان.

وفي كلمته في الاحتفال، قال كبير أساقفة كانتربري أنه سعيد بوجوده في السودان لتدشين المجمع رقم (٣٩)، وتنصيب المطران حزقيال كندو كبيرًا لأساقفة للسودان، مشيرًا إلى التغييرات الحاصلة في العالم والتحديات الكثيرة التي تواجه العمل الكنسي.

وقال: «هناك أرض وشعب رائع في السودان، ولذلك الكنائس لا بد أن تعمل من أجل تطوير قدرات الناس في هذا البلد، ولدينا الكثير من الآمال والتطلعات».

وفي إشارة إلى تعلق الكنيسة الأسقفية بماضيها في السودان وجبال النوبة قال ويلبي: «قمنا بوضع أكاليل من الزهور على الذين رحلوا بكل أمانة، وهم أساس لهذه الكنيسة، المطارنة رعاة الكنيسة»، وذكر أن المهمة كبيرة جدًّا.

وقال: «عندما كنا في كادوقلي بالأمس قابلنا نازحين، وتم الترحيب بهم بسخاء في هذا البلد حتى يعيشوا فيه»، وفي ذلك

إشارة بضرورة النشاط التنصيري بين هؤلاء النازحين من جنوب السودان بمناطق جبال النوبة.

وشملت فقرات الاحتفال كذلك: كلمات للأساقفة وممثلي المجامع؛ كالمجمع الإنجليكاني الأفريقي، ومجمع جنوب السودان، ومجمع يوغندا، ومجمع مصر، ومجمع سنغافورة، ومجمع الصين.

كما قدم كبير أساقفة كانتربري هدايا، عبارة عن وسام للمطران حزقيال كندو، ولمطارنة الكنيسة الأسقفية بالسودان، وشكر وفد حكومة السودان لمشاركته وكلمته المؤثرة، وقال: «نحن نتعاطف معكم من أجل رفع الحصار عن السودان».

وفي كلمة الأسقف حزقيال كندو أمام الاحتفال قال مخاطبًا المطارنة والقسس: «حضوركم يؤكد أننا موجودون لكي نستمر، ونصبر»، وقدم شكره الخاص لكبير الأساقفة والضيوف الذين حضروا من جميع أنحاء العالم، وشكر شكرًا خاصًّا أبرشية (جنوب السودان)، والأسقف دانيال دينق - كبير أساقفة دولة جنوب السودان -، وقال أنه من خلالها تولّد هذا المولود في السودان.

أما وزير الإرشاد والأوقاف السوداني أبو بكر عثمان؛ فقد أكد خلال الاحتفال على التعايش الديني في السودان، وأن الناس سواسية في الحقوق والواجبات بغضّ النظر عن الدين والعرق، وقال: «نحن نرعى مثل هذه الفعاليات التي تلعب دورًا كبيرًا في تجسير الوحدة الوطنية».

ومن أبرز محطات زيارة ويلبي: لقاء رئيس الجمهورية المشير عمر البشير بالقصر الجمهوري، والذي رحب بالوفد الزائر، وتحدث عن الحريات الدينية بالبلاد، وذكر أن المسيحيين والمسلمين بالسودان يعيشون في أجواء من التسامح والوفاق؛ على الرغم من محاولات الإعلام السالب - سواء الخارجي أو من بعض الإعلاميين بالداخل - تشويه صورة التعايش الديني بالبلاد.

كما أكد البشير عدم تعرض الكنائس أو المؤسسات المسيحية إلى أي اعتداء، مما يؤكد أن المسيحيين في السودان ينعمون بسلام ويعيشون في محبة.

ومن محطات الزيارة ذات الدلالة التاريخية، والتي توضح أنها لا تنفك عن العمل التنصيري وتجديده في السودان: زيارة ويلبي والوفد البريطاني المرافق له لمتحف القصر الجمهوري؛ والذي كان في السابق كنيسة، وكانت هذه الزيارة بطلب من كبير الأساقفة، حيث استفسر عن قبر شارلس غردون؛ المُنصر المعروف، وحاكم عام السودان، والذي قتلته قوات المهدي في فتح الخرطوم في (١٨٨٥م) بموقع القصر الجمهوري الحالي.

وفي بعض الأحاديث الإعلامية حول زيارته للسودان أوضح ويلبي: أن التقارير الغربية عن الحريات الدينية بالسودان (مشوهة وغير دقيقة)، وتستند على حالات خاصة جرى تعميمها، ودعا وسائلَ الإعلام إلى تصحيح الصورة الذهنية التي رسمتها التقارير في المخيلة الغربية عن السودان.

ودعا ويلبي المسلمين والمسيحيين في السودان إلى تدعيم التعايش الديني، وأضاف: «المسلمون والمسيحيون عليهم التضامن لإشاعة السلام في كل المنطقة».

وعبّر عن إعجابه الكبير بالتجربة السودانية؛ سواء من الحكومة أو الأهالي؛ والتي قبلت واستوعبت اللاجئين.

وأعرب ويلبي عن سعادته بوجوده في السودان، قائلاً أن لديه انطباعات تتمثل فيما شاهده من كرم في استقبال اللاجئين وإيوائهم وتقديم الدعم والعون لهم.

وشدد على أن الحكومة السودانية تعمل على تقوية التعايش بين الأديان، والتداخل بين مكونات المجتمع المختلفة.

وقال ويلبي: «إن عملية التعايش السلمي بين الأديان تمثل تحديًا كبيرًا، ليس في السودان، بل في كل الدول التي عليها أن تظهر قدرًا كافيًا من القيم».

وتمنى أن يعم السلام والتعايش بين جميع الأديان، وأن

يعم السلام كل أنحاء المنطقة والإقليم.

ودعا الحكومة السودانية للمساهمة في تحقيق السلام في كافة ربوع المنطقة من أجل المئات من الأمهات والأطفال.

كما تحدث ويلبي بإيجابية عن التعايش بين المسلمين والمسيحيين في السودان، وقال أنه لاحظ ذلك أثناء زيارته لمدينة كادقلي.

وبيّن أن الوضع مستقر في جنوب كردفان، وأن النازحين من دولة الجنوب يجدون تعاملًا طيبًا وسخاء من أهل المنطقة، وقال: «هذا هو التعايش الحقيقي، ولكن المشكلة أن الإعلام الداخلي أو الوطني لم يعكس هذه الصورة للخارج، وأن هناك بعض المنظمات تستغل هذا الأمر سياسيًّا».

وذكر أنه وجد في كادوقلي مسلمًا ومسيحيًّا في بيت واحد، وهذا مثال على التعايش الديني في السودان.

خاتمة

يلاحظ أن زيارة رأس الكنيسة الإنجليكانية جاستن ويلبي إلى السودان حاولت إلقاء الضوء على أوضاع المسيحيين في السودان، والذين تدعي بعض الجهات الكنسية الغربية أنه بعضهم يعاني انتهاكات متكررة لحقوقهم، وأن بعضهم يعيش أوضاعًا صعبة، زاد من حدتها انفصال جنوب السودان، حيث تحول ملف الكنائس في الخرطوم إلى ملف أمني، تقلصت معه حقوق المسيحيين، وزادت شكواهم من التضييق الحكومي، وهو -بحسب تلك التقارير الغربية- أثر بشكل مباشر في تأخير قرار أميركي برفع العقوبات الاقتصادية عن السودان في (يونيو) الماضي، بجانب دعوى هدم الحكومة للكنائس التي دفعت تقريرًا أميركيًّا إلى تصنيف السودان من ضمن الدول المنتهكة لحرية الأديان.

لكن على المستوى الإعلامي؛ فقد كانت تصريحات ويلبي في ختام الزيارة إيجابية، حيث قال: «إن التعايش الديني السائد في البلاد بين المسلمين والمسيحيين سلمي ونموذجي، ومخالف كثيرًا للنظرة السائدة عنه في الغرب».

وقال: «إنه وقف وشاهد نماذج عدة للتعايش بعكس النظرة السائدة في الغرب التي تضغط على السودان من هذا الباب».

وشدد على أن الكنيسة الأسقفية ستقوم خلال المرحلة المقبلة بدور كبير من أجل رفع العقوبات الأميركية عن هذا البلد.

يمكن القول: إن زيارة ويلبي أرادت أن تؤكد للعالم: أن الكنيسة الإنجليكانية الأسقفية كانت وستظل موجودة في تربة السودان، وأن هذه الزيارة يراد لها أن تدعم وجود قادة الكنيسة المحليين؛ ليواصلوا دورهم التنصيري بدعم ورضا من الخارج.

كما أن زيارة كبير الأساقفة لمدينة كادوقلي عاصمة جبال النوبة فيها تأكيد على ضرورة استمرار وجود الكنيسة في جبال النوبة، ودورها في جنوب السودان كذلك عبر اللاجئين الجنوبيين الذين وصلوا للمنطقة بعد تدهور الأوضاع في بلادهم بسبب الحرب الدائرة هناك.

مراجع:

١- حسن مكي محمد أحمد، «المشروع التنصيري في السودان»، الخرطوم، منشورات المركز الإسلامي الإفريقي.

٢- دلدوم الختيم أشقر، «النسيج الاجتماعي لولاية جنوب كردفان بقطاعاتها الثلاثة: الغربي والأوسط والشرقي»، صحيفة «الصحافة»، (٨ ديسمبر ٢٠١٢)، العدد (٦٩٣٣).

٣- تقرير حول زيارة كبير أساقفة كانتربري للسودان، (١٠ أغسطس ٢٠١٧م)، موقع سودان إنفو.

٤- موقع القس جاستن ويلبي: The archbishop of Canterbury jastin welby

٥- طارق أحمد عثمان، «المسيحية في منطقة جبال النوبة بالسودان، ودور الإرساليات في العمل التبشيري والتعليم»، مركز الدراسات الأفريقية في جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، (٢٠١١م).

على خلفية دعوة السبسي..
هل انتصر الفكر النسوي في تونس؟

فاطمة عبد الرؤوف-كاتبة مصرية

خاص بـ «الراصد».

على الرغم من كلّ ما قيل عن أن دعوة الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي لمساواة المرأة التونسية مع الرجل في الميراث، ومنحها الحق في الزواج بغير المسلم؛ قد جاء لأسباب مرتبطة بقرب موسم الانتخابات، وفي تفسير آخر لبعض المحللين السياسيين والمراقبين للحدث التونسي أنه جاء ربما لإحراج حركة النهضة ودفعها للكشف عن مرجعيتها الدينية.

إلا أن الأمر المؤكد: أن هذه الدعوة تؤكد عمق الصراع العقائدي والفكري الدائر في تونس، وأن خطوة جديدة وكبيرة قادمة على طريق علمنة تونس، وأن الفكر النسوي ذا المرجعية الأممية على وشك تحقيق نجاح وإنجاز حقيقي لتطبيق مقررات «السيداو»؛ التي دعت للمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في الحقوق الاقتصادية، ومنها: الميراث، والتي دعت في بند آخر للمساواة في المركز القانوني للرجل والمرأة أثناء الزواج.

وعلى الرغم من أن هذه الخطوة تتم في الداخل التونسي إلا أن آثارها تتعدى ذلك بكثير؛ لتمسّ العالم الإسلامي كله، والعربي منه بوجه خاص، حيث تضغط المنظمات النسوية والقوى العلمانية للسير على الطريق التونسي.

▪ المساواة في الميراث:

لا يمكن فهم مقاصد الشريعة المتعلقة بتقسيم الميراث دون ربطها بمقاصدها المرتبطة بنظام النفقات، ولا يمكن فهم ذلك كله إلا بفلسفة الإسلام المرتبطة بتوازن العلاقة بين الفرد والجماعة من جهة، والتوازن بين حرية المرأة وحمايتها من جهة أخرى.

والفهم المبتسر الذي يتعامل بمنطق التجزئة هو الذي يورث الشبهات، والفردية المطلقة والمساواة المطلقة تمثل العمق الاستراتيجي للفكر الغربي الذي يتم تقديمه كفكر معياري، يحاولون إخضاع أحكام شريعتنا إليه.

والشريعة الإسلامية تقدم تصورًا مختلفًا للحياة الاجتماعية والاقتصادية، وهي بوجه عام تجعل الرجل هو المسئول الأساسي عن النفقة، ومن ثم يتضاعف نصيبه من الميراث في بعض الحالات التي تتساوى فيها درجة القرابة مِن المتوفى.

مسئولية الرجل عن النفقة هي أحد الأسباب المهمة لجعل القوامة مسئولية الرجل، لكن واقعًا مختلفًا بعض الشيء تعيشه البلاد الإسلامية، وتصور آخر للحياة تتم الدعوة له بقوة ترسم ملامحه اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة «السيداو»؛ والتي هي أكبر من مجرد وثيقة تحوي قيمًا فكرية وثقافية مغايرة، فداخل هذه الوثيقة آليات لضمان تنفيذها ومن ضمنها: تعديل القوانين المحلية، وإدماج القبول بها في الدساتير، وهو ما يتم تنفيذه حرفيًا في تونس هذه الأيام.

يتم التمهيد للدعوة بالمساواة في الميراث بأن الواقع الاجتماعي تغيّر، وفي الحقيقة هم يدفعونه للمزيد من التغير؛ فمن ناحية أصبحت المرأة تتحمل -وبشكل متزايد- مسئولية النفقة على الأسرة، أو كما قال الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي في خطابه الكارثي الذي ألقاه بمناسبة الاحتفال بيوم المرأة التونسية أن (٤٥%) من الأسر تعولها نساء، فكان ذلك -في رأيه- مبررًا كافيًا لتغيير أحكام الميراث!

ومن ناحية أخرى حدث انهيار للعائلة الكبيرة الممتدة؛ فثارت شبهة أخرى وهي: أن المرأة المعاصرة لا تجد من يهتمّ بها وبالنفقة عليها حتى يكون لها من يشاركها في الميراث من قرابتها وأبناء عمومتها، بل حتى إخوتها، وأنها تقع بين دائرة التهميش من جهة، ودائرة الاستغلال من جهة أخرى.

هذه هي أبرز الشبهات التي يستند إليها القائلون بضرورة تغيير أحكام المواريث.

وصاحبات الفكر النسوي المتطرف لا مانع لديهن من استغلال هذه الشبهات؛ التي قد تلاقي صدى عند بعض النساء اللاتي تخلّى عنهن المجتمع، ولكن الحقيقة أنهن يسعين وبشكل حقيقي وجدّي لجعل النساء مسئولات عن النفقة؛ ليس بحكم الاضطرار، ولكن عن طريق الخيار الواعي، ويسعين -أيضًا- لهدم فكرة القوامة عن طريق استقلال المرأة الاقتصادي.

بالطبع لا يمكن إنكار أن هناك واقعًا اجتماعيًّا تضطر فيه المرأة للقيام بمسئولية النفقة، وأنها في كثير من الأحيان تفتقد البيئة الحاضنة لها، وبدلًا من مواجهة أزمة واحدة تصر بعضهن على مضاعفة الأزمة! فالعلاج السهل الذي يتم تداوله وهو: المساواة في الميراث، ومن ثم المساواة في المسئولية الاقتصادية، وما يترتب على ذلك من تغيير المنظومة الاجتماعية كلها سيؤدي لنتائج كارثية على المرأة إن لم يكن على المجتمع ككل!

▫ تحدي المرجعيات:

هذه النتائج الكارثية أشار إليها الدكتور عباس شومان -وكيل الأزهر- في رده السريع على تلك الدعوة المشبوهة التي أطلقها الرئيس التونسي.

حيث قال: «إن دعوات التسوية بين الرجل والمرأة في الميراث تظلم المرأة ولا تنصفها، وتتصادم مع أحكام شريعة الإسلام».

وأضاف: «المواريث مقسّمة بآيات قطعية الدلالة لا تحتمل الاجتهاد، ولا تتغير بتغير الأحوال والزمان والمكان، وهي من الموضوعات القليلة التي وردت في كتاب الله مفصّلة لا مجملة، وكلها في سورة النساء، وهذا مما أجمع عليه فقهاء الإسلام قديمًا وحديثًا».

وأضاف: «أن دعوات التسوية بين النساء والرجال في الميراث بدعوى (إنصاف المرأة) هي عين الظلم لها! لأن المرأة ليست كما يظن كثير من الناس أنها أقل من الرجال في جميع الأحوال؛ فقد تزيد المرأة على نصيب رجال يشاركونها نفس التركة في بعض الأحوال؛ كمَن ماتت وتركت زوجًا وأُمًّا وأخًا لأم؛ فإن الأم نصيبها الثلث، بينما نصيب الأخ لأم السدس، أي: أن الأم -وهي امرأة- أخذت ضعف الأخ لأم وهو رجل، كما أنها تساويه في بعض المسائل؛ كمن ماتت وتركت زوجًا وأُمًّا، فإن نصيب الزوج نصف التركة، ونصيب الأم النصف الآخر فرضًا وردًا، كما أن فرض الثلثين -وهو أكبر فرض ورد في التوريث- لا يكون إلا للنساء ولا يرث به الرجال؛ فهو للبنات أو الأخوات فقط، فمن ماتت وتركت بنتين وأخًا شقيقًا أو لأب فللبنتين الثلثان وللأخ الباقي وهو الثلث، أي: أن البنت تساوت مع الأخ.

وهناك العديد من المسائل التي تساوي فيها المرأة الرجل أو تزيد عليه، وكلها راعى فيها الشرع بحكمة بالغة واقع الحال والحاجة للوارث أو الوارثة للمال لما يتحمله من أعباء ولقربه وبعده من الميت، وليس لاختلاف النوع بين الذكورة والأنوثة؛ كما يتخيل البعض!»[1].

ردّ الدكتور عباس شومان -وكيل الأزهر في مصر- لن يوقف بالتأكيد اللجنة التي تم اختيارها لبحث مسألة مساواة المرأة في الميراث، والتي جاءت كلها من الفضاء العلماني التونسي بمختلف أطيافه، بل إن هجومًا ساحقًا تم شنّه على الأزهر من هذا الفضاء العلماني، واصفين إياه أنه يمارس كهنوتًا ووصايةً على الأجواء الفكرية الصحية التي تعيشها تونس.

ولكن بيان وكيل الأزهر -قد يوقف إلى حين- دعوات الاستحسان والمطالبة بالتقليد في أوساط العلمانيين والنسويات في مصر؛ حتى صرّح بعضهم أن على الأزهر أن يهتم بشئونه في الداخل المصري فقط، حاسدًا التونسيين على آفاق الحرية والمساواة التي يعيشون فيها!

---

(١) http://cutt.us/hIZSR

المؤسف في الأمر حقًّا: أن ديوان الإفتاء بتونس أكد أن مقترحات «السبسي» تدعم مكانة المرأة، وتضمن وتفعّل مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات؛ التي نادى بها الدين الإسلامي في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨]؛ فضلًا عن المواثيق الدولية التي صادقت عليها الدولة التونسية التي تعمل على إزالة الفوارق في الحقوق بين الجنسين.

واعتبر ديوان الإفتاء في بيانه: أن المرأة التونسية نموذج للمرأة العصرية؛ التي تعتز بمكانتها وما حققته من إنجازات لفائدتها وفائدة أسرتها ومجتمعها؛ من أجل حياة سعيدة ومستقرة ومزدهرة.

معتبرًا أن رئيس الجمهورية أستاذ بحق لكل التونسيين وغير التونسيين، وهو الأب لهم جميعًا، الغريب أن التيار النسوي يكره هذا المصطلح جدًّا: «الأبوي»، لكنه يتقبله فقط عندما يأمر هذا الأب بما يتفق مع رؤيته وأفكاره!![1]

▪ الزواج بغير المسلم:

وهذه هي الكارثة الثانية التي فجّرها الرئيس التونسي، في كلمته في قصر قرطاج، أمام حشد من السياسيين والحقوقيين؛ حيث قال: «إن هناك متغيرات تمت على صعيد الواقع، من بينها: سَفر المرأة إلى الخارج؛ سواء للعمل أو الإقامة؛ فضلًا عن زواج العديد من التونسيات بأجانب، تتطلب إعادة صياغة المنشور (٧٣) بشكل جديد، يتناسب مع الواقع الجديد».

داعيًا رئيس الحكومة ووزير العدل إلى العمل مع مؤسسة رئاسة الجمهورية على تغيير المنشور؛ وفق ما يقتضيه الفصل السادس من الدستور.

مشيرًا إلى أن الفصل (٦) يقر بحرية المعتقد والضمير، ويحمل الدولة بتكفل ذلك.

العبث بأحكام الزواج والأسرة في الإسلام حتى تصبح المحرمات والفواحش أمرًا مشروعًا هو: عبث كارثي! يراد له أن يقنّن، بعد أن شهدت الأيام الماضية زواج عدد من الشيعيات اللبنانيات من النصارى، بعد فتوى من بعض المرجعيات الشيعية؛ كالسيد علي الأمين[2].

وكانت آخر هذه الزيجات التي أثارت الكثير من الجدل: زواج النصراني بطرس كتورة من الشيعية المحجبة مروة فواز؛ حيث احتلت صور زواجهما داخل الكنيسة -وهي ترتدي الحجاب، وتقوم بالمراسم الكنسية!- الأخبار الرئيسة في كثير مِن وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي.

هذا الزواج الذي تمّ بمباركة الأهل حدث على ثلاث مراحل: الأولى: على يد مرجعيتها الدينية، والثانية: كان زواجًا كنسيًّا، أما الثالثة فهو: عقد زواج مدني لا علاقة له بالدين.

وفي حال تمّ السماح في تونس بزواج المسلمة بغير المسلم فإنه لن يكون هناك حاجة لكل هذه الخطوات، وسيكون الزواج المدني هو الشكل الرسمي الذي يتم عبر آلياته هذا الزواج.

هذا الملف الخطير للأسف يشغل الكثير من الفتيات اللاتي لا يَعرفن عن الدين إلا القشور، ويكفي -في هذا الصدد- الدخول لبعض المنتديات أو كتابة (زواج المسلمة بغير المسلم) في خانة البحث؛ وسنجد الكثير من الجدل والنقاش حول هذا الأمر المفترض أنه مِن المعلوم مِن الدين بالضرورة.

---

(١) ww.facebook.com/permalink.php?story_fbid=١٦٧١٧١٢٩٥٦٢٣٤٣٦٣&id=٦٤٢٧٠٠٨٦٥٨٠٢٢٤٩&hc_location=ufi

للمزيد عن تسلط الفكر النسوي في تونس:

http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٦٤٤٥

(٢) نص فتوى الأمين: http://cutt.us/QOev٣

وفي هـذا؛ يؤكـد الـدكتور شـومان أن: «الـدعوات المطالِبـة بإباحـة زواج المسلمة مـن غـير المسلم لـيس كـما يظـن أصـحابها في مصلحة المرأة! فإن زواجا كهـذا الغالـب فيـه فقْد المودة والسكن المقصود من الزواج؛ حيث لا يؤمِن غير المسلم بـدين المسلمة، ولا يعتقـد تمكـين زوجتـه مـن أداء شـعائر دينهـا.. فتبغـضه ولا تـستقر الزوجية بينهما.

بخلاف زواج المسلم من الكتابية؛ لأن المسلم يـؤمن بـدينها ورسـولها، وهـو مـأمور مـن قبـل شريعتـه بتمكـين زوجتـه مـن أداء شعائر دينها.. فلا تبغضه وتستقر الزوجية بينهما».

وتـابع: «أنـه لـذات الـسبب مُنـع المـسلم مـن الـزواج مـن غـير الكتابية كالمجوسية؛ لأنـه لا يـؤمن بالمجوسـية، ولا يـؤمر بتمكينهـا من التعبد بالمجوسية أو الكواكـب ونحوهـا، فتقـع البغـضاء بيـنهما، فمنع الإسلام هذا الزواج.

ولذا؛ فإن تدخل غير العلماء المدركين لحقيقة الأحكـام من حيث القطعية التي لا تقبل الاجتهاد، ولا تتغير بتغير زمـان ولا مكـان، وبـين الظنـي الـذي يقبـل هـذا الاجتهـاد؛ هـو مـن التبديـد، وليس التجديد!»[١].

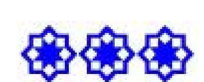
إن ما يحدث في تونس هذه الأيام من السير قدمًا في تغيير كل ما هو معلوم من الدين بالـضرورة، في الحيـز الـصغير المتبقـي من الأحوال الشخصية؛ مع زخم تصل أصداؤه لكثـير مـن البلـدان العربية الأخرى؛ التي يـرى بعـض مثقفيهـا أن تـونس دائـمًا متقدمـة بخطوة، وهم في حالـة مـن الـشغف بالحالـة التونـسية، يـدل عـلى أن المخطط النسوي الأممي يسير بخطوت ثابته لتحقيق هدفه، مـستغلًا الواقـع الـسياسي المتـأزم الـذي تعيـشه بلادنـا، فتهـبط التـشريعات النسوية دائمًا من الأعلى.

كما فعل الحبيب بورقيبة من قبل، دون قدرة حقيقية عـلى المعارضة مـن قبـل الإسـلاميين؛ الـذين جـاء رد فعلهـم متلعـثمًا لأنهم غير قادرين -للأسـف- عـلى الجهـر بهـويّتهم الفكريـة، فجـاء رفضهم لمشروع فكري واضحةٌ ملامحه بالتشكيك في التوقيت تارة، وبالقول أن قوانين الأحوال الشخـصية لـيس لهـا الأولويـة في وقـت يعاني فيه الشعب من الفقر والبطالة تارة أخرى.

هـذا المخطـط الـذي لا يجـد مـن يواجهـه بطريقـة فعالـة! سوف يحاول قدر ما يستطيع أن يواصل طريقه بنعومـة؛ أو كـما قـال السبسي: «لديّ ثقة في ذكاء رجال القـانون، وسـنجد صـيغًا قانونيـة لتجنّب الاصطدام بمشاعر التونسيين»!

مشددًا: «لن نمضي في إصلاحات قد تـصدم مـشاعر الـشعب؛ الذي في أغلبه مسلم، لكننا نتّجه نحو المساواة في جميع الميادين».

وأردف: «مقتنعون أن العقـل القـانوني التونـسي سـيجد الـصيغ الملائمـة التـي لا تتعـارض مـع الـدين ومقاصـده، ولا مـع الدسـتور ومبادئه؛ في اتجاه المساواة الكاملة».



---

(١) http://cutt.us/hIZSR



المُنشقُّون

عرض: أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

صدر هذا الكتاب حديثًا للأستاذ عبد الله بن صالح العجيري، عن مركز «تكوين للدراسات والأبحاث»، وهو في (٢٤٠) صفحة من القطع الكبير.

الكتاب يعالج قضية بالغة الأهمية في هذا الوقت وهي: حقيقة جماعات العنف والقتال المعاصرة، وهل هي من الخوارج أم أن ذلك هو اتهام سياسي تطلقه الأنظمة الحاكمة نكاية بهذه الجماعات؟ وكيف نجعل هذه الجماعات من الخوارج وهم لا يكفّرون بالكبيرة؟ ولا يعادون عثمان وعليًّا رضي الله عنهما؟

هذه القضية الشائكة؛ والتي جعلت الكثير من أهل العلم والفضل وعامة الناس يتعاطف أو يناصر هذه الجماعات، وخاصة داعش، في بداية ظهورها ومن ثم تراجعت قوة التعاطف والمناصرة عند غالب الناس وأهل العلم.

وللوصول للحقيقة؛ رأى المؤلف: أن يسعى للإجابة عن السؤال المركزي: من هم الخوارج بمعنى الذمّ الشرعي؟

وللإجابة عن هذا السؤال؛ اعتمد الباحث البعد التاريخي لِلَحظات التشكل الأولى، وما تبعها مِن تطورات، بالتوازي مع بيان البعد العقدي لهذه التطورات.

لكن السنة النبوية أرشدت لظاهرة الخوارج قبل تشكلها التاريخي والواقعي؛ فستكون البداية مع مقررات الوحي بخصوص الخوارج، ومن ثم بيان تطابق واقعها وتاريخها مع نبوءات الوحي.



وقسّم الباحث هذه المسيرة التاريخية: لحقبة ما قبل الخوارج، وحقبة الخوارج، وحقبة ما بعد الخوارج.

ففي حقبة ما قبل الخوارج؛ سنجد أن البذرة ظهرت زمن النبوة بذاك الجاهل خويصرة التميمي، المعترض على قسمة الغنائم يوم حنين، والذي خاطب النبي ﷺ بقوله: اعدل يا محمّد!

ينبّه الباحث إلى أن الأحاديث النبوية عن الخوارج تنقسم إلى قسمين:

الأول: يتحدث عن الخوارج الأوّلين الذين قاتلهم عليٌّ، وهم: الحرورية، أو المحكّمة الأولى، أو أهل النهروان، وهم الأكثر عددًا.

والقسم الثاني: هم جماعات الخوارج عبر التاريخ حتى قيام الساعة، فقد أخبرت السنة: أن الدجال يخرج بين الخوارج!

وقد كشفت الأحاديث النبوية عن مجموعة الصفات لكل قسم، وصفات مشتركة بين الجميع، وبيان الصفات المشتركة هو: غاية البحث وهدفه؛ لتحديد مفهوم الخوارج عبر الزمن.

وهذا التفريق مهمٌّ لإبطال مزاعم خوارج العصر بعدم «خارجيتهم»؛ لعدم توفر بعض الصفات التي أخبرت السنة النبوية أنها في الخوارج؛ كصفة التحليق، وشدّة العبادة -مثلًا-، بينما خوارج اليوم يطيلون شعورهم، وليسوا من أهل العبادة، بل بعضهم يرتكب الكبائر ويدمن المخدرات!

فالتركيز على الصفات الجامعة للخوارج عبر الزمن أو المكونات الصلبة -بتعبير الباحث- هو: الأساس الذي يجب التركيز عليه، والغلو: هو المكون المركزي لظاهرة الخوارج؛ إذ «غلوا في الدين غلوًّا جازوا به حده! لنقص عقولهم وعلمهم... وأوجب ذلك لهم عقائد فاسدة، ترتّب عليها أفعال منكرة، كفَّرهم بها كثير من الأمة، وتوقف فيها آخرون»؛ كما يقول ابن تيمية، فغلوهم مركب من محددين هما: عقائد فاسدة، وأعمال منكرة.

فمحدد العقائد الفاسدة هو: التكفير بغير حق.

ومحدد الأعمال المنكرة هو: القتل بغير حق؛ بناء على التكفير.

وقد بينت السنة النبوية ذلك في قوله ﷺ: «إنَّ أَخوف ما أَتخَوَّف عليكم: رجلٌ قرأَ القرآنَ حتى إذا رُئيت بَهجته عليه وكان ردئًا للإسلام؛ غيَّره إلى ما شاء الله، فَانسلخَ منه ونبذَه وراء ظَهرِه، وسَعى على جَارِه بالسَّيف ورَمَاه بالشِّرك»، قال حذيفة: قلت: يا نبيّ الله! أيهما أولى بالشرك: المرمي أم الرامي؟ قال: «**بل الرَّامِي**»، رواه ابن حبان وحسّن إسناده الألباني.

وهذا الغلو عند الخوارج سببه: صغر السن، والسفه، والكِبر والتعالي، ولذلك لم يكن أحد من الصحابة مع الخوارج؛ رغم أن كثيرًا منهم عاصر الخوارج.

وبسبب هذا الغلو المنحرف عند الخوارج: جاءت الأحاديث بالذم الشديد لهم؛ فوصفهم النبي ﷺ بأنهم: «**شَرُّ الخَلْق والخَلِيقة**»، و«**يَمرقُون مِن الدّين كما يَمرقُ السَّهم مِن الرَّمِيَّة**»، و«**كِلاب أَهلِ النَّار**».

ومن جهة أخرى: جاءت السنة بتشديد المواجهة والقتال مع الخوارج ،وأن قتالهم أولى من قتال المشركين؛ لعظيم فسادهم.

وقد نبّهت السنة على خطورة الفتنة بالخوارج؛ لأنهم يظهرون للناس بمظهر مخادع! فهم ذوو قول حسن يجذب الناس؛ إذ يدعون لتحكيم الشريعة وإقامة الجهاد! لكن الحقيقة أنهم: يحكّمون أهواءهم، ويقتلون المجاهدين والأبرياء؛ كما شاهد المسلمون أجمعون من جرائم داعش بحق الثورتين السورية والعراقية!

ومن القضايا المهمة في مفهوم الخوارج: أن السنة النبوية لم تجعل تكفير مرتكب الكبيرة من علامات الخوارج! ولا كان تكفير مرتكب الكبيرة من صفة الخوارج الأوّلين؛ الذين قاتلهم الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أما الخوارج في حقبة الظهور والتحقق؛ فقد بيّنت السنة النبوية زمن ظهورهم الأول في قوله ﷺ: «**تَمرُق مَارقة عِند فُرقةٍ مِن المسلمين، يَقتلها أَوْلى الطَّائِفتَين بالحَقّ**»، رواه مسلم، فالخوارج -هنا-: فئة ثالثة، وليست من إحدى الطائفتين المتقاتلتين.

وفي هذا الواقع العملي لخروج الخوارج تحققت النبوءة النبوية؛ فقد كفّر الخوارج الخليفة الراشد عليًّا؛ المشهود له بالجنة، كما كفّروا عثمان بن عفان -أيضًا- بأثر رجعي في غلوّ غبي! ومن ثم قتلوا عليًّا ظلمًا وعدوانًا، ويَعتبرون ذلك من أعمال البر والتقوى!!

وبذلك اجتمع المحددان: الغلو الاعتقادي، والغلو العملي؛ بالتكفير الجائر، والقتل الظالم، والذي هو حقيقة منهج الخوارج؛ مهما تبدلت الأسماء والألقاب!

وقد عالج الصحابة غلو الخوارج بالعلم؛ حين ناظرهم حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فرجع فئام منهم عن الباطل، وحقت الشقوة على أغلبهم بعنادهم على الجهل والهوى؛ حين رفضوا سماع كلام ابن عباس أصلًا، فكان السيف آخر الدواء لهم.

ولكن بقيت ظاهرة الخوارج مستمرة ومتكررة: غلو في التكفير، وجرأة على الدم الحرام، وبقي علاج الصالحين لهم بالعلم لمن يقبل، والسيف لمن يعاند ويكابر ويعتدي؛ تكفيرًا وقتلًا.

ومع الأيام بدأ يتشكل انحراف الخوارج في فهم الدين على أصول منحرفة، هي:

١- التعلق بالمتشابه.

٢- تنزيل النصوص على غير محلّها.

٣- تبعيض الوحي.

٤- رد السنة لوهم معارضتها لظاهر القرآن.

٥- عدم قبول خبر الآحاد.

٦- الإعراض عن تفسير القرآن بالسنة.

٧- ردّ اجماع الصحابة وفهمهم.

٨- احتكار حق الفهم.

٩- التعجل في تأويل القرآن دون التمكن من أدواته.

أما حقبة ما بعد الخروج الأول؛ فقد تعددت تعريفات الخوارج في كتب الفرق والمقالات، وذلك لم يكن إلا تعريف ببعض مكون الظاهرة، وبما تطورت إليه ظاهرة الخوارج، فأصبح (تكفير بعض الصحابة، وتكفير مرتكب الكبيرة) من أهم مكونات التعريف، لكن الخوارج الأوّلين لم يكونوا يكفّرون بالكبيرة!

ولذلك كان الأصوب في مفهوم الخوارج هو: أنهم من يكفّر بغير حق، ويقتل بناء على ذلك؛ سواء كان التكفير والقتال للسلطة السياسية أو لغيرها، وبذلك يمكن أن يندرج تحت اسم الخوارج: مذاهب وشخصيات متعددة.

فالشيعة والرافضة الذين يكفّرون المسلمين ويقتلونهم؛ لذلك هم خوارج من جهة، وشيعة من جهة أخرى، وقد أطلق بعض العلماء على الحَجّاج وصف «الخوارج»؛ لأنه يكفّر خصومه، ثم يقتلهم ويستحل دماءهم، وأطلقوا اسم «الخوارج» على القرامطة.

ولكن مع تعقّد المشهد السياسي في واقع المسلمين؛ فقد ينضمّ فرد أو أفراد لجماعة من الخوارج لظروف قاهرة؛ كأن يستولوا على مناطقهم، ويجبرونهم على القتال معهم، أو لكونهم يواجهون عدوًّا مجرمًا يجبرهم على الانضمام للخوارج، لكن هذا الفرد أو الأفراد لا يشتركون مع جماعة الخوارج في فكرهم أو جرائمهم، فهنا يبقى للجماعة التي تتساهل في التكفير وتتجرأ بلا تقوى على الدماء المعصومة وصف «الخوارج» وحكمهم، ولكن بعض الأفراد قد لا يشملهم ذلك الوصف.

والخلاصة التي وصل إليها الباحث هي: أن ما شاع من تعريف الخوارج بـ «تكفير مرتكب الكبيرة» خطأ، وأن الصواب هو: تعريف الخوارج بمن «يكفّر بغير حق، ويقتل بغير حق»، وهذا يكشف عن عمق انتشار ظاهرة الخروج المعاصر في أوساط جماعات العنف والقتال.

وتبقى ملاحظة مهمة كنت أتمنى لو أن الباحث تصدى لها، وهي: الحاجة لبيان مدى انطباق المفهوم الصحيح للخوارج على جماعات العنف والقتال المعاصرة؛ من خلال نصوصهم وأدبياتهم، ومن خلال جرائمهم وإرهابهم، حتى لا تبقى مثل هذه الدراسات نظريات معلقة في الهواء، لا يستفيد منها إلا المختصون! في الوقت الذي نحتاج فيه لتحصين عموم المسلمين من خطر الخوارج وغلوّهم؛ وخاصة الشباب المتحمس.



حليفكم (حزب الله) هو العنوان الصحيح؛ لأنه المتحكم بلبنان!

قالوا: أكدت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في لبنان، في الذكرى الحادية والأربعين لمجزرة تلّ الزعتر: أن هدف الفلسطينيين في لبنان هو: العودة إلى الوطن...

ودعت الدولة اللبنانية إلى عدم التعامل مع المخيمات الفلسطينية من منظور أمني فحسب، وإنما العمل على أساس حلّ جميع القضايا سياسيًّا.

وطالبت الحركة الدولةَ اللبنانية بالإسراع إلى إقرار الحقوق المدنية والاجتماعية للاجئين الفلسطينيين، وإعادة إعمار مخيم نهر البارد؛ كي لا تتكرر مأساة أهالي مخيم تل الزعتر.

وكالة شهاب للأنباء (١٢/ ٨/ ٢٠١٧)

الإرهاب المدلل

قالوا: لولا بعض فصائل الحشد الشعبي التي تقاتل في الأراضي السورية منذ (٦) سنوات لسقط النظام السوري بيد تنظيم داعش، ولربما تغيرت الخارطة بما فيها خارطة الشرق الأوسط.

وتقاتل العديد من الفصائل الشيعية المسلحة العراقية واللبنانية والأفغانية والإيرانية إلى جانب قوات النظام السوري في عدة مناطق سورية.

وتؤكد الحكومة العراقية أن أي فصائل شيعية مسلحة تقاتل خارج الحدود العراقية لا تتبعها.

وفي (١٨ يونيو / حزيران) الماضي التقت قوات «جيش النظام» السوري وقوات «الحشد»، على حدود البلدين في محافظة الأنبار غربي العراق، وذلك للمرة الأولى منذ تمدد تنظيم «داعش» في البلدين عامي (٢٠١٤ و٢٠١٥).

المسؤول الإعلامي للحشد الشعبي: أحمد الأسدي - «وكالة الأناضول»، (١٤/ ٨/ ٢٠١٧)

مأساة تتكرر

قالوا: سيبقى شباب المسلمين قصعة ينهشها أعداؤهم، ولا مستقبل لهم ما داموا يعانون من مصيبة اللاوعي؛ تعلم الكتاب والسنة، يتلوه تعلم نهج الصحابة؛ لتميز الحق.

خادم الإسلام - تغريدة بتويتر

سؤال محرج!

قالوا: هلاّ سألتم إيران يا أهل السنة (تنظيمات وشخصيات ووفود)؛ الذين حضرتم حفل تنصيب روحاني

للرئاسة الإيرانية، هل سألتم عن: سبب غياب سنة إيران في الحفل؟

صباح الموسوي - تغريدة بتويتر

للمرة الألف لا نتعلم الحذر من خيانتهم!

قالوا: كل أعضاء خلية العبدلي كانوا يشغلون مناصب ما بين أكاديمية وإعلامية وتقنية..

نستفيد من ذلك: أن الثقة بوطنية من خامره الفكر الصفوي متعذرة!

د. محمد السعيدي - تغريدة بتويتر

ثبّتكم الله، وكثّر من أمثالكم!

قالوا: لو أردنا ثروة؛ فخزائن خُمسٍ فُتحت لنا وصددناها.

لو أردنا النساء؛ فأسواق متعةٍ تحرشت بنا ورفضناها.

لو أردنا شهرة؛ فوسائل إعلام إيران جاءت لنا وتركناها.

أنور مالك - تغريدة بتويتر

خساسة حتى في النذالة!

قالوا: تم نشر عدة صور من قبل مصور موالٍ للنظام السوري، يُدعى: «ليث معداراتي»، أظهرت عارضة أزياء داخل جامع «العادلية» الأثري، المُدمّر في حلب القديمة، وهي ترتدي ملابس سوداء ضيقة، وفوقها عباءة بيضاء اللون مستوحاة من عباءات الشيوخ، ولا ترتدي الحجاب!

وأكد ناشطون أنه: «انتهاك كبير لحرمة المسجد الأثري المدمر على يد نظام الأسد وآلته العسكرية، وتحوله إلى معرض لالتقاط الصور المشينة؛ والتي تعتبر انتهاكا منظمًا للمكان ولرمزيته ومعناه».

معتبرين أنه: «رسالة واضحة المعالم: أن النظام يدنّس المقدسات في سوريا، كجزء من طقوس انتصاره على السوريين، وعلى الأكثرية المضطهدة في سوريا، فهذا الجامع رمز لها؛ دينيًّا وتاريخيًّا، فهو مبني في عهد الحكم العثماني، الأمر الذي يحمل الكثير من الرسائل»!

وأكد الناشطون: أن نظام بشار الأسد الذي دمّر المساجد بفتاوى من أحمد حسون - مفتي سوريا - لن يتورّع عن القيام بتدنيس مساجد حلب؛ بعد تهجير سكانها وتدميرها - على حد تعبيرهم -.

«الخليج الجديد»، (١٥/٨/٢٠١٧)

نقطة وعي مطلوبة

قالوا: إن كانت لأمريكا مشكلة مع إيران فهي مع النظام، وليس مع الفكر الباطني الذي يتبنّاه هذا النظام وتقوم عليه إيران نفسها.

د. فراس الزوبعي - تغريدة بتويتر

المسجد الأقصى.. المعيار الأدق لحال الأمة - ١

د. محمد عياش الكبيسي - صحيفة العرب (٢٠١٧/٨/١)

المسجد الأقصى: قبلة المسلمين الأولى، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى نبيّنا الكريم ﷺ، والأرض التي باركها الله وبارك ما حولها؛ قد شاء الله ﷻ أن يجعله: **معيارًا لحال هذه الأمة ووزنها أمام الأمم الأخرى**، فكلما كانت مهابة عزيزة الجانب كان الأقصى مهابًا عزيزًا كذلك، والعكس بالعكس أيضًا.

وهذا التاريخ يشهد بهذه الحقيقة منذ الفتح الأول على يد الصحابة الأبرار رضي الله عنهم إلى اليوم.

لم يكن هنالك من يجرؤ على أن يمس الأقصى بأدنى سوء أيام عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز، ولا أيام الرشيد والمأمون والمعتصم، ولا أيام محمد الفاتح وسليمان القانوني وعبد الحميد الثاني، فلقد كانت الأمّة من أقصاها إلى أقصاها تطير خلف هؤلاء لنجدة امرأة واحدة، ولتأديب باغ واحد، فكيف لو فكّر أحد ما - مهما علا شأنه وكثر قومه - أن يقترب من أسوار الأقصى وترابه الطاهر؟!

نعم؛ حصل ذلك أيام غياب الأمّة، وتحوّلها إلى إمارات متناحرة متخاصمة، فامتدّت يد الأوربيين تحت شعار الصليب لتخطف المسجد الأقصى، وتعيث فيه خرابًا وفسادًا، وقد بقي على هذه الحال لعقود طويلة، معبّرًا بصدق عن حال الأمة في هوانها وشتاتها، حتى بدأت صحوتها من جديد على يد آل زنكي ثم الأيوبيين، وبدأت تجمع شتاتها، وتستصرخ إيمانها ونخوتها، وقد كانت صرخة صلاح الدين في ذلك الوقت: «إن فتح الموصل إلى بيت المقدس موصل»، وكان مستشاروه يستحثونه على إكمال مشروعه في النهوض بالأمة وتوحيد قواها قبل التوجّه إلى القدس.

ومن لطائف القدر: أن تكون الموصل وحلب المقدّمتين الكبيرتين لفتح القدس؛ حيث سار صلاح الدين بعد فتح الموصل إلى حلب ومن حلب إلى القدس؛ فقال شاعره آنذاك:

وفتحكم حلب الشهباء في صَفر
مبشّر بدخول القدس في رجب

لقد تمكن صلاح الدين من بناء جبهة قويّة تمتد من مصر إلى الشام والعراق، كل ذلك وهو في هدنة مع الصليبيين، لم يحسم أمره معهم؛ حتى جمع أشتات أمته، وقضى على الفتن الداخلية، وبنى منارات العلم والتقى، ومحاضن التربية الإيمانية النقيّة الصحيحة، فكان فتحه للقدس ودخوله المسجد الأقصى تتويجًا لهذا المشروع النهضوي الوحدوي الكبير.

اليوم حينما تتجرّأ حفنة من شذّاذ الآفاق على الأقصى! فإنهم في الحقيقة لا يتجرؤون على الأقصى ولا على المقدسيين أو الغزّاويين، وإنما هي صفعة على قفا هذه الأمة الغافلة التائهة المبعثرة بملايينها الممتدة من جاكرتا إلى نواكشوط، ومن اسطنبول إلى حضرموت!

إن الأمة التي تتفرّج على نسائها الهائمات على وجوههنّ في الموصل وحلب، وعن الآلاف الذين يزحفون يوميًّا قاصدين اللجوء إلى أوربا، وعن مئات المآذن والقباب التي تهدّم على رؤوس المصلين؛ كيف يرجى منها: أن تلتفت إلى حواجز يقيمها اليهود على مداخل الأقصى، أو رصاصة تخترق جسد طفل أو طفلين في القدس أو غزة؟

إنه ليس عيبًا على الضعيف: أن يتغلب عليه القويّ، فالزمن هكذا دوّار وغدّار! إنما العيب: حينما يستمتع المغلوب بحاله، ويضحك ملء شدقيه ورأسه تحت حذاء ظالمه! فلا يحس بألم في صدره، ولا بثقل على رأسه!؟

المسجد الأقصى.. المعيار الأدق لحال الأمة - ٢

د محمد عياش الكبيسي - صحيفة العرب (٢٠١٧/٨/٨)

إنه لمن المؤلم والمحزن: أن تتحوّل قضية الأقصى إلى ورقة للمتاجرة! يتاجر بها الطغاة قبل غيرهم؛ وهم الذين أضعفوا الأمّة وأهانوها، ومزّقوا جسدها وقطّعوا أوصالها، فإنك لو جمعت «الخطابات التاريخية» التي ألقيت في المناسبات الوطنية والقومية والدينية من أولئك «الزعماء التاريخيين» لأدركت أن هؤلاء -على كثرة اختلافاتهم وخصوماتهم- قد اجتمعوا على شيء واحد وهو: المتاجرة بالأقصى، واتخاذه أداة من أدوات التسويق لسياساتهم الفاسدة، والترويج لبضائعهم الكاسدة.

والشعب الفلسطيني يتطلع إلى هذا وإلى هذا: جيش القدس، ويوم القدس، وحزب الله وآية الله، وجبهة المقاومة ومحور الممانعة، فيحصل المساكين على الفتات، بينما يذهب الزخم الأكبر لضرب الأمة وتدميرها، والإجهاز على ما تبقى من مقوّمات الصمود وأسباب النهوض فيها.

لا أنسى تلك السيّدة الفاضلة التي لقيتها في بيروت سنة (٢٠٠٦) يوم كان كبار العلماء والدعاة يتنادون لمناصرة حزب الله، استقبلتني في مكتبها وتحدّثت حديثًا مطوّلًا، لا زلت أتذكره وهي تستغرب من حال هؤلاء اللاهثين خلف كل سراب!

وكان مما قالت: «عن أي مقاومة يتحدّثون بعد أن دمّروا بغداد؟ هذه عمائمهم وراياتهم وفتاواهم تدخل مع الجيش الأميركي لتستبيح العراق، ثم نصدّق أنهم يريدون تحرير فلسطين؟!

يقولون لنا: لماذا لا تساندون المقاومة؟

فقلنا لهم: أعلنوها مقاومة باسم الأمة، لا باسم الحزب ولا الطائفة، ولا باسم أية راية فئوية أو عنصرية؛ وسنكون في مقدمة الصفوف، نحن نريد مقاومة باسم الأمة ولا نريد أن نكون وقودًا رخيصًا للمشاريع المشبوهة التي تتخذ من القضية الفلسطينية مركبًا لها!».

نعم؛ إن أخطر ما يمكن أن تتعرّض له القضية الفلسطينية هو هذا، لقد كنت أستمع لأحدهم وهو يعقّب على انتهاكات الصهاينة المجرمين في الأقصى: «لقد انشغلت الأمة بقضايا جانبية»، وهو يشير إلى ما يجري في العراق وسوريا واليمن!

هكذا! فمحو مدينة مثل: الموصل أو مثل حلب؛ لا يراه هذا الأخ يستحق الانشغال! وهو بهذا يظن أنه يخدم قضيته الوطنية «فلسطين»؟!

ولست أدري من هي هذه الأمة التي يعنيها! إن أسقط منها: العراق والشام واليمن؟

يا أخي! والله إن بداية الطريق لتحرير الأقصى لن تكون إلا بهذا الانشغال الذي تشكو منه؛ والذي هو غير موجود أصلًا!

ويا ليتك شكوت من انشغال الناس بالترهّات التي يغدق عليها من ثروات الأمة؛ ما لو أنفق بعضه لأنقذ الملايين المشردين من إخوانك وأخواتك في الموصل وحلب وتعز، ولسدّ حاجة أهلك في القدس وغزة!

أما إن كنت تظن: أن الميليشيات الطائفية التي دمّرت كل هذه الحواضر الإسلامية أنها ستساعدك في استرداد أرضك؛ فأنت واهم!!

نعم؛ إن دعم صمود الشعب الفلسطيني ومقاومته الأسطورية الشجاعة هو: واجب كل مسلم على أقل تقدير؛ لبقاء القضية حية في الضمائر، ولمشاغلة العدو لأطول مدة ممكنة.

وأخطر ما يرد في هذا السياق هو: عزل هذه القضية وتشويه نصاعتها وبياض ثوبها؛ بتجاذبات وتحالفات تجعل هذه القضية المقدّسة وكأنها بالضد من قضايا الأمة وجراحها النازفة!

إن كل قضية تحتمل قدرًا من المجازفة؛ وفق قانون الربح والخسارة، ومقولة: «أهل مكة أدرى بشعابها» إلا قضية الأقصى؛ فإن قوتها: بقداستها وربحها؛ ببقائها حيّة متجددة في ضمير أمتها.

«فيلق القدس» ومكافحة الإرهاب!

عايد الشمري - صحيفة الرياض (٢٠١٧/٨/١٥)

خصص البرلمان الإيراني مبلغ (٣٠٠) مليون دولار لـ «فيلق القدس»؛ من أجل مكافحة الإرهاب، عنوان هذا الخبر ليس مزحة بل خبرًا رسميًّا نشر في وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية يوم أمس!

وجاء في الخبر: «خلال الاجتماع المفتوح لمجلس الشورى الإيراني والذي عقد لمناقشة مشروع (مواجهة الممارسات الأميركية المتهورة)، ووفقًا للمادة (١٢) من المشروع فقد تم تكليف الحكومة بتخصيص مبلغ (١٠) آلاف مليار ريال إيراني (نحو (٣٠٠) مليون دولار أميركي) لفيلق «القدس»، التابع للحرس الثوري؛ وذلك لمكافحة الإرهاب، والحفاظ على مكاسب (تدخلات!) نظام ولي الفقيه بالمنطقة».

المضحك المبكي في هذا القرار هو: أن الجميع بات يعرف أن «فيلق القدس» هو: الجهاز العسكري المكلف بتصدير الثورة الخمينية، والمسؤول عن كل العمليات الإرهابية خارج إيران، ويرتبط مباشرة بمرشد إيران علي خامنئي؛ مع أنه تابع تنظيميًّا للحرس الثوري.

يتولى «فيلق القدس» مسؤولية السياسة الخارجية الإيرانية في عدة دول، منها تحتلها إيران سياسيًّا، وتسيطر على قرارها، مثل: لبنان، العراق، أفغانستان، وسورية، وحماس، والحوثي، أو متغلغلة في أوساطها؛ من خلال كوادر السفارات الإيرانية في الخارج؛ حيث معظمهم من ضباط «فيلق القدس»، يعملون بغطاء دبلوماسي.

«فيلق القدس» هو: رأس الإرهاب، بقيادة: الإرهابي الأول: «قاسم سليماني»؛ الذي يتعمد بالتقاط صوره بين الجثث تارة في العراق، وأخرى في سورية؛ وذلك من أجل تغذية التأجيج الطائفي وشحنه.

«فيلق القدس» هو: الذراع الخارجي للإرهاب وتمدد نظام طهران، وهو: المشرف على كل المليشات المتطرفة في العراق، وسورية، ولبنان، واليمن، وأفغانستان، وكذلك كل الإرهابيين والجواسيس الذين تم القبض عليهم خارج إيران هم صناعة «فيلق القدس»، ولهم ارتباطات وثيقة -بحسب التحقيقات-، وآخرها: «خلية العبدلي».

هناك مهمات كثيرة لـ «فيلق القدس» منها: وجود مراكز تدريب للأجانب للانضمام إلى الملشيات، والتدريب على تنفيذ الأعمال الإرهابية؛ لتحقيق أهداف نظام طهران في مختلف دول المنطقة.

هذا الدعم السخي من نظام طهران لـ «فيلق القدس» يعني: أن هذا النظام مستمر في مشروعه التوسعي، وكأنما كل هذه الوحشية والكوارث الإنسانية والمجازر الممتدة من صنعاء حتى بيروت مرورًا ببغداد، ودمشق، وعشرات العواصم والمدن العربية؛ لم تكن كافية! ولم تشفِ غليل حكام إيران وتحد من كراهيتهم للعرب؟!

كل هذه التصرفات الحمقاء من نظام طهران ولا زال الغرب -للأسف- يتعامل معه، ويفاوض وينسق! في حين أن الواجب يقتضي: تصنيف قوات الحرس الثوري الإيراني كمنظمة إرهابية بكل فروعها، وأن تكون هناك عقوبات شاملة عليهم وعلى كل من يتعامل معها؛ إذا كانت فعلًا الدول الغربية جادة في القضاء على الإرهاب، واستئصال هذا السرطان من المنطقة، فلن يكون هناك استقرار إلا بزوال هذا النظام وحرسه الثوري.

نفوذ إيران ينحسر في طاجيكستان

محمد عباس ناجي - العرب اللندنية (٢٠١٧/٨/١٥)

لم تكن العلاقات بين إيران وطاجيكستان على ما يرام خلال العامين الأخيرين، لكنها وصلت -حاليًّا- إلى درجة غير مسبوقة من التوتر! بسبب: مواصلة طهران التدخل في شؤونها الداخلية، ومحاولة زعزعة استقرارها على المستويين: السياسي والأمني.

وجهت طاجيكستان اتهامات إلى إيران في (٩ أغسطس) الحالي بإرسال قتلة ومخربين؛ خلال فترة الحرب الأهلية التي اندلعت بين عامي (١٩٩٢ و١٩٩٧)، وبث التلفزيون الحكومي فيلمًا وثائقيًّا تضمن اعترافات لثلاثة أشخاص قالوا أنهم تلقوا تدريبات ودعمًا ماليًّا في إيران، واعترفوا بتنفيذ اغتيالات لشخصيات عامة، وشن هجمات على قاعدة روسية داخل أراضيها.

إيران سارعت -كعادتها- إلى نفي هذه المعلومات، معتبرة أن مشاركة وزير الطاقة الطاجيكي في مراسم أداء الرئيس روحاني اليمين الدستورية في (٥ أغسطس) دليل على علاقاتها القوية مع دوشنبه، مؤكدة أن ظهور هذه المعلومات في الوقت الحالي يعود إلى «وجود دوائر لا تريد صداقة أقوى بين البلدين».

لكن هذا الرد لا ينفي أن طهران تحاول باستمرار استغلال نفوذها الناعم في طاجيكستان؛ الذي توفره عوامل عديدة، مثل: اللغة الفارسية، وتزايد حاجة دوشنبه إلى المساعدات الاقتصادية.

بالطبع؛ هذه العوامل تمثل بيئة جاذبة بصفة دائمة لإيران؛ التي تتحرك للبناء عليها بهدف: دعم تمددها في الداخل، على نحو ما تفعل في دول أخرى بالمنطقة، مثل: سوريا والعراق ولبنان واليمن.

تكتسب تلك الاعترافات -التي جاءت بعد انتهاء الحرب الأهلية بنحو عشرين عامًا- أهميتها من توقيتها، فقد تزامنت مع تزايد الاتهامات الموجهة لإيران بدعم الإرهاب وزعزعة الاستقرار لبعض دول المنطقة، بالتوازي مع مساعي الأخيرة لنفي ذلك، وتأكيد أنها طرف بارز في الحرب ضد الإرهاب؛ بدليل: دورها في تحرير الموصل من تنظيم «داعش».

من هنا؛ فإن هذه المعلومات الجديدة تثبت: أن مزاعم إيران لا تتسامح مع الواقع! وأن هذه الاتهامات تكتسب المزيد من المصداقية؛ خاصة أن الاعترافات الأخيرة التي بثها التلفزيون الطاجيكي جاءت بعد نحو ثلاثة أسابيع من القرارات التي اتخذتها السلطات الكويتية بتخفيض مستوى التمثيل الدبلوماسي مع إيران، وإغلاق مكاتبها الفنية، وتجميد نشاط اللجان المشتركة؛ احتجاجًا على دورها في دعم «خلية العبدلي» الإرهابية، وتهريب بعض عناصرها.

كما أن هذه الاعترافات جاءت بعد تصريحات الرئيس روحاني؛ خلال مراسم أداء اليمين الدستورية، التي أبدى فيها اهتمامه بتحسين العلاقات مع دول الجوار، وهو ما يضعف من موقفه، ويؤكد أن قدرته على تنفيذ سياساته وتحويلها إلى خطوات إجرائية على الأرض مرتبطة بمدى قبول القيادة العليا والحرس الثوري لها.

ويضفي ذلك وجاهة خاصة على التكهنات التي تشير إلى أن العلاقات مع دول الجوار، مثل: العراق وأفغانستان وطاجيكستان؛ لا تخضع لسلطات الرئيس، وإنما لنفوذ المؤسستين: العسكرية والأمنية؛ المدعومتين من المرشد.

وتوحي الاتهامات بأن إيران تسعى دائمًا إلى تأسيس حزام أمني حول حدودها؛ عبر دعم نفوذها في دول الجوار، في ظل مخاوفها المستمرة من مصادر التهديد الخارجية؛ التي لا تنحصر في الولايات المتحدة، وإنما تمتد -أيضًا- إلى روسيا.

دعم كبيري والحزب الإسلامي يمثل: قاسمًا مشتركًا جديدًا بين إيران وقطر؛ التي سعت بدورها إلى تقديم دعم لهذا الحزب، وحرصت على الترويج لمواقفه في وسائل إعلامها.

حاولت إيران استخدام أدواتها الناعمة، وأنشأت مراكز ثقافية تروج لأفكارها وأيديولوجيتها، مثل: مركز «إيرانيان» في مدينة خجند؛ الذي كان يقوم قبل إغلاقه بنشر كتب لمؤلفين محليين، وإجراء مسابقات ثقافية، وتوفير خدمة الإنترنت للسكان، وتنظيم رحلات لبعض الشباب الطاجيكي إلى إيران.

كما زادت طهران من نشاط مؤسسات «البونياد»، وهي: مؤسسات خيرية اجتماعية تستغلها لدعم دورها في الخارج؛ دون أن تكون لها علاقة رسمية مباشرة بالحكومة؛ كـ «مؤسسة الإمام الخميني للإغاثة»؛ التي قدمت في السابق خدمات في بعض المدن الطاجيكية، مثل: رعاية الأيتام، ودعم الفقراء.

بالتوازي مع ذلك؛ حاولت طهران استقطاب تأييد بعض الأحزاب ذات التوجهات الإسلامية، حتى لو كانت معارضة للنظام الحاكم، مثل: «حزب النهضة الإسلامي»؛ الذي صنفته دوشنبه كتنظيم إرهابي منذ (سبتمبر ٢٠١٥)، بعد اتهامه بارتكاب أعمال عنف في البلاد.

ودعت طهران أمين عام الحزب محيي الدين كبيري لحضور مؤتمر «الوحدة الإسلامية»؛ الذي نظمته في (ديسمبر ٢٠١٥)، وحظي باهتمام واضح من جانب السلطات الإيرانية التي اعتبرته: «ضيفًا خاصًا»، والتقى المرشد الأعلى علي خامنئي ومستشاره للعلاقات الدولية علي أكبر ولايتي.

المفارقة هنا: أن دعم كبيري والحزب الإسلامي يمثل: قاسمًا مشتركًا جديدًا بين إيران وقطر؛ التي سعت بدورها إلى تقديم دعم لهذا الحزب، وحرصت على الترويج لمواقفه في وسائل إعلامها.

من دون شك! يلقي ذلك بالمزيد من الضوء على أوجه

التشابه الكثيرة بين إيران وقطر؛ اللتين تسعيان إلى تبني آليات متقاربة لمواصلة التدخل في الشؤون الداخلية لبعض دول المنطقة.

ويشير حرص إيران على دعم نفوذها في طاجيكستان إلى: أنها تسعى لتأسيس حزام أمني حول حدودها، وترى أن مصادر التهديد الخارجية التي تواجهها باتت متعددة، ولا تقتصر على واشنطن، لكنها تمتد إلى موسكو؛ على الرغم من التوافق الظاهر بينهما حول العديد من الملفات، على رأسها: الأزمة السورية.

وتثبت اعترافات الأشخاص الثلاثة بشن هجمات على قاعدة روسية في طاجيكستان: أن طهران حاولت تهديد مصالح موسكو في دوشنبه، وممارسة ضغوط عليها لتقليص وجودها العسكري بالقرب من حدودها.

هذه السياسة فرضت تداعيات سلبية كثيرة على علاقات إيران وطاجيكستان؛ التي أبدت دول في المنطقة اهتمامًا بتقديم مساعدات عديدة لها.

واعتبرت دوشنبه: أن هذه التحركات الإيرانية تمثل: محاولة لزعزعة استقرارها، بما دفعها إلى اتخاذ خطوات مضادة للتعامل معها.

ولم تكتف بإغلاق المراكز الثقافية والمؤسسات الاجتماعية والصحية التي أنشأتها طهران، إلى جانب منع تداول كتب الخوميني وبعض رجال الدين؛ وإنما سعت إلى امتلاك أوراق ضغط للتلويح بها في مواجهة الأخيرة، مثل: عرقلة جهودها للحصول على عضوية كاملة في منظمة تعاون شنغهاي.

الحزام البري الإيراني ينذر بحرب طائفية في المنطقة.. وتخوفات أردنية من تمدد طهران على طول الشريط الحدودي

أحمد جمعة - اليوم السابع (٢٠١٧/٨/١٢)

تشهد الساحة السورية تحولات دراماتيكية على كافة الأصعدة خلال الأشهر القليلة الماضية، في ظل تحركات تقودها أطراف إقليمية ودولية لوقف إطلاق النار في سوريا، إضافة لاتفاق تلك الأطراف على ضرورة محاربة التنظيمات المسلحة التي لا تؤمن بالحل السياسي، وتشديدها على ضرورة تحجيم دور إيران في المنطقة؛ والذي سيدفع بالمنطقة إلى حرب أهلية.

وشهدت العاصمة الأردنية عمان عدد من الزيارات المكوكية من قبل عدد من المسئولين الغربيين، إضافة للزيارات التي قادها وزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي إلى العراق، وهى الزيارة التي تعد التحرك الأبرز للوزير لبحث وقف التمدد الشيعي في المنطقة؛ ولا سيما عقب سيطرة الحشد الشعبي على الحدود السورية - العراقية، إضافة لتخوف عمان من مشاركة الحشد في معركة تحرير تلعفر.

التخوف الأردني من مشاركة الحشد الشعبي العراقي في معركة تحرير تلعفر يأتي في توقيت حذرت فيه أوساط سياسية أردنية من الهدف الحقيقي من تولى الحشد مهمة استعادة تلعفر الواقعة على الحدود السورية من تنظيم داعش، مؤكدة أنه: مخطط إيراني يهدف إلى: تركيز حزام بري إيراني، يبدأ من طهران ليمر عبر العراق ثم سوريا، لينتهي بلبنان؛ الذي تسيطر ذراعها الرئيسية حزب الله على مفاصل الحياة فيه.

الهواجس والتخوفات الأردنية التي حذر منها العاهل

الأردني الملك عبد الله الثاني عام (٢٠٠٤) باتت حقيقة تهدد أمن واستقرار المنطقة، وقد حذر الملك عبد الله من اعتزام إيران إنشاء هلال شيعي يمتد من العراق مرورًا بسوريا، وصولًا إلى لبنان، وذلك في خطابه الشهير في شهر (ديسمبر عام ٢٠٠٤).

المخططات الإيرانية التوسعية في المنطقة تثير مخاوف الأردن وباقي الدول العربية، في وقت تستخدم فيه روسيا الاتحادية الميليشيات الطائفية في مراوغة دول الجوار السوري لإجبارها على الحلول التي يطرحها الكرملين، في وقت تتمسك فيه طهران بتقديم كافة أنواع الدعم للميليشيات الطائفية في سوريا والعراق؛ فضلًا عن الدعم الكبير لحزب الله اللبناني، وهو التحرك الذي يهدد بحرب طائفية شاملة، تدفع بالمنطقة لمستنقع الفوضى الخلاقة.

التحركات الإيرانية المشبوهة حذّر منها رئيس هيئة الأركان المشتركة الأردني الفريق الركن محمود عبد الحليم فريحات، وكشف عن تطلعات طهران لإنشاء حزام بري هدفه الرئيسي: ربطها بلبنان عبر سوريا والعراق.

وأكد فريحات - خلال حواره مع هيئة الإذاعة البريطانية - قلق الأردن من تقدم ميليشيات الحشد الشعبي باتجاه منطقة تلعفر - غربي مدينة الموصل.

وأثارت مطالبة عدة جهات إقليمية بضرورة تحييد الحشد الشعبي عن معركة الموصل - وبخاصة تلعفر - جدلًا كبيرًا في المنطقة؛ إلا أن الضغوط الإيرانية نجحت في فرضه كأمر واقع.

وتشكل تلعفر القضية الأهم بالنسبة لإيران، بسبب موقعها الجغرافي الذي يجعلها بمثابة محطة طريق مركزية، تضمن استمرار وصول التجهيزات المادية والحشود البشرية القادمة من إيران إلى سوريا ولبنان.

ويتجاوز وجود ميليشيات الحشد الشعبي الأراضي العراقية؛ حيث تتواجد العديد من عناصره في المناطق السورية على غرار: «عصائب أهل الحق وحركة النجباء»؛ التي شاركت بقوة في معركة حلب؛ التي حسمت لصالح النظام السوري الحليف لطهران.

وسط تلك التحركات المشبوهة التي تقودها طهران يلعب فصيل «حزب الله اللبناني» الدور الأخطر في المنطقة، ويلجأ الحزب اللبناني للخطاب العاطفي العروبي لحشد أكبر عدد من المؤيدين لسياسته التي تخدم إيران في المنطقة، ويشكل حزب الله الخطر الأكبر على أمن واستقرار سوريا والعراق.

التحركات التي تقودها طهران لم تكن غائبة عن الولايات المتحدة الأمريكية؛ التي تحركت جنوب سوريا لنزع فتيل الأزمة، وبدأت واشنطن أولى إجراءاتها بوقف برنامج الاستخبارات الأمريكية لتمويل المعارضة السورية، واشترطت أمريكا: دمج (٥٤) فصيل مسلح جنوب سوريا في (٤) تشكيلات مسلحة، وتقليص عددها من (٣٠) ألف مقاتل إلى (٣) آلاف مقاتل، تكون مهامهم الرئيسية: تأمين المناطق التي تسيطر عليها المعارضة، ووافقت الإدارة الأمريكية على تولى حكومة دمشق مهام تأمين حركة المعابر مع الأردن، وهو الشرط الذي وضعته عمان لضمان أمنها واستقرارها.

اللقاءات التي تجرى في الأردن - وسط تكتم من القيادات السياسية والعسكرية في عمان - يكشف عن: تحرك القوى العظمى لحلحلة الأزمة السورية في الفترة المقبلة؛ عبر تجفيف الدعم العسكري للفصائل المقاتلة، إضافة لتحرك المملكة

العربيـة الـسعودية لتوحيـد صـفوف المعارضـة الـسورية، وإقـصاء القيادات السورية المعارضة التي تدعمها قطر، وتعرقل عملية الحل السياسي في سوريا.

والمتابع للتحركات الجارية في سوريا والعراق والأردن يلحظ: عدم وجود أي دور واضح للجامعة العربية في التوافقات التي تجرى بين الأطراف الإقليمية والدولية، إضافة لوجود ضبابية في موقف الجامعة تجاه الأوضاع الجارية في المنطقة؛ ولا سيما على الـساحة الـسورية، إضـافة لغيـاب الـدور العـربي الموحـد تجـاه المخططـات الإيرانيـة التـي سـتدفع بالمنطقـة للانفجـار والحـرب الأهلية.

وفي حال تحرير المنطقة من التنظيمات الإرهابية -وعلى رأسها تنظيمي: داعش وجبهة النصرة- ستواجه الدول العربية والإقليمية مشكلة هي الأكبر في المنطقة؛ والتي تتمثل في الفصائل الطائفية الشيعية التي دخلت سوريا وتستوطن العراق، وتدعمها طهران بالمال والسلاح.

والسؤال هنا: هل تعي الجامعة العربية طبيعة ما يجرى؟ ومتى تتحرك الجامعة لتوحيد الموقف العربي تجاه طهران؟ وهل تتمكن الدول العربية من تشكيل كيان قوي على غرار «الرباعي العربي» لمواجهة المشروع الإيراني الأخطر في تاريخ المنطقة؟!

عن جدار تركيا على الحدود مع إيران

علي حسين باكير - العرب القطرية (٢٠١٧/٨/١٥)

بدأت السلطات التركية الأسبوع الماضي في بناء جدار عازل على الحدود مع إيران، عند محافظتي: آغدي، وإيغدير، ويغطي الجدار المراد تشييده (١٤٤ كم) من أصل حوالي (٥٠٠ كم)، تُشكّل إجمالي طول الحدود المشتركة مع إيران.

وسيتم إنجاز الجدار على خمس مراحل، حيث من المفترض أن يتم الانتهاء من المرحلة الأولى في (أكتوبر) المقبل، كما من المفترض أن يتم تزويد الجدار بأبراج، وكاميرات مراقبة، وأعمدة إنارة، وأسلاك شائكة؛ بحيث تصبح المنطقة تحت المراقبة على مدار (٢٤) ساعة.

لطالما كانت المواقع الحدودية لتركيا مع كل من إيران والعراق وسوريا مصدر صداع للسلطات الأمنيّة التركية! وخاصّة المثلث الحدودي التركي-الإيراني-العراقي؛ الذي يعتبر بمثابة جنّة جغرافية لمقاتلي حزب العمال الكردستاني؛ حيث ينطلقون من داخل الأراضي الإيرانية والعراقية لشنّ هجمات مميتة داخل الأراضي التركي، قبل أن يعودوا وينسحبوا إلى مواقعهم المتأخرة داخل إيران والعراق.

خلال السنوات القليلة الماضية تفاقم وضع هذا الشريط الحدودي، وأصبح يشكل مصدر تهديدات أمنيّة متزايدة على الأمن القومي التركي؛ لا سيما مع حالة الفوضى التي تضرب العراق وسوريا، وقد أصبح من السهل لمقاتلي حزب العمال الكردستاني والميليشيات المرتبطة به في العراق وسوريا الدخول والخروج دون عوائق تذكر! وكذلك الأمر فيما يتعلق بتهريب الأسلحة والمتفجرات؛ عبر هذه الحدود إلى الداخل التركي.

بالنسبة إلى الجانب التركي من الصعب جدًّا -إن لم يكن مستحيلًا-: ضبط الحدود المشتركة ذات التضاريس الجغرافية الصعبة مع هذه البلدان بشكل كامل وفعّال، عبر الطرق التقليدية؛ خاصة عندما تكون الموارد البشرية أو المادية أو التقنية اللازمة لتأمينها محدودة.

ولذلك؛ فإن بناء الجدار مدعومًا بتقنيات للمراقبة قد يساعد السلطات الأمنيّة على تأمينها بشكل أفضل، وأكثر ككفاءة،

وبالتالي التخفيف من المخاطر الأمنية القادمة عبر الحدود.

ويعتبر الجدار مع إيران جزءًا من خطة أمنية شاملة، تضم المناطق الحدودية كذلك مع كل من سوريا والعراق، بهدف: تأمينها ضد الفاعلين غير الحكوميين والميليشيات المسلحة والتنظيمات الإرهابية؛ كحزب العمال الكردستاني (PKK)، والفرع السوري (PYD-YPG)، وكذلك تنظيم «داعش».

ووفقًا لوزير الدفاع التركي فقد تم الانتهاء في (يونيو) الماضي من تشييد جدار على أكثر من ثلثي المناطق الحدودية مع سوريا، بطول (٦٩٠ كم)، وقد تم تزويده بمجسات إلكترونية وأجهزة مراقبة متطورة، أملًا في الحد من دخول الإرهابيين عبر الحدود؛ لتنفيذ عمليات إرهابية في الداخل التركي.

وتشير التقديرات إلى أنّ هناك حوالي (١٠٠٠) عنصر ينتمون إلى حزب العمال الكردستاني، يشنون هجماتهم ضد تركيا عبر الحدود مع إيران، وبالرغم من أنّ السلطات الإيرانية تنفي علاقتها بهذا الأمر إلا أنّ هناك من يعتقد في تركيا أنّ إيران لا تعدم الوسيلة لاستغلالهم، عندما يكون الأمر متاحًا، لا بل إنّ هناك من يرى بالفعل أنها قامت في السابق باستغلال وتوظيف مقاتلي حزب العمال الكردستاني ضد تركيا لأغراض سياسية؛ سواءً بشكل مباشر، أو من خلال قوى إقليمية محسوبة على النظام الإيراني، أو مدعومة منه؛ كالنظام السوري.

وعلى الرغم من آثاره السلبية؛ فإن الجانب التركي يعتقد: أنّ تشييد الجدار سيحد بالفعل من العمليات الإرهابية عبر الحدود، لكنّ من الصعب القول: إنّه سيمنعها بشكل تام؛ خاصّة إذا ما بقيت الفوضى الإقليمية قائمة، وإذا ما استمرت هذه الميليشيات في الحصول على حماية ودعم من قبل لاعبين إقليميين ودوليين.

لماذا يُبغض أغلب المسلمين حكام إيران؟؟؟

أ. د. خالد الخالدي - صفحته بـ (الفيس بوك)

تحمست للثورة الإيرانية في بدايتها؛ كأغلب المسلمين، ثم فقدت الثقة بها وبحكام إيران وأبغضتهم؛ كأغلب المسلمين!

وذلك لأسباب كثيرة؛ أذكر بعضها باختصار شديد:

١ - لأنهم طائفيون متعصبون، يضطهدون أكثر من (١٠) مليون إيراني سني، ويحرمونهم حتى من بناء المساجد! فليس لهؤلاء إلى الآن أي مسجد، وهذا ما لم يفعله اليهود في كيانهم، ودول النصارى مع المسلمين الذين يعيشون تحت حكمهم في الغرب.

٢ - لأنهم يعدمون معارضيهم الإيرانيين السنة لأتفه الأسباب، وهذا ما لا يفعله اليهود في فلسطين، والنصارى في الغرب.

٣ - لأنهم يصرون على التمسك بمعتقدات أجدادهم الحاقدين! إذ يلعنون أغلب الصحابة؛ وخصوصًا الصديق والفاروق رضي الله عنهما.

٤ - لأنهم ما زالوا يؤذون رسول الله ﷺ والمؤمنين؛ بقذف أم المؤمنين عائشة، واتهامها بالفاحشة؛ رغم أن الله برأها من اتهام المنافقين القدماء بقرآن يتلى!

٥ - لأنهم يؤذون المسلمين بمقام يعظمونه أقاموه لأبي لؤلؤة المجوسي، قاتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٦ - لأنهم أسهموا إسهامًا كبيرًا في احتلال أمريكا للعراق؛ من خلال حزب الدعوة العراقي الشيعي المدعوم من إيران؛ رغم أنهم يسمون: «أمريكا الشيطان الأكبر»!

٧ - لأن أمريكا كافأت حزب حكام إيران «حزب الدعوة»

بحكم العراق، فسمح هو وأمريكا لحكام إيران باحتلال العراق، فأرسلوا ضباطهم وجنودهم، وعاثوا فيه قتلًا وإفسادًا وتدميرًا، فخطفوا وعذبوا وقتلوا ونكلوا، وعلى أيديهم تم قتل عشرات الألوف من علماء وخبراء وضباط وطياري وخطباء ووجهاء وأساتذة العراق، وكانوا يلقون بجثثهم المثقبة بالآلات الكهربائية في الشوارع.

٨- لأن سياسة (إبادة أهل السنة في العراق) التي اتبعها حكام إيران وحزبها -حزب الدعوة العراقي الحاكم- أدت إلى قتل وتهجير وتشريد وسجن واغتصاب ملايين السنة في العراق.

٩- لأن الجيش العراقي وميليشيات الحشد الشعبي المدعومين من إيران؛ والذين يقودهم قاسم سليماني الإيراني، ومئات الضباط الإيرانيين؛ أبادوا مئات الألوف من سنة العراق في الموصل والفلوجة والأنبار وصلاح الدين، وتمت هذه الإبادة للبشر والمدن بتنسيق ومشاركة كاملة من طائرات أمريكا وحلفائها من طواغيت العرب والغرب.

١٠- لأن قاسم سليماني كان يصرح بعد كل إبادة لمدينة سنية عراقية أو سورية تصريحات طائفية بغيضة! فيقول: «إن انتصارنا انتصار على أحفاد أبي بكر وعمر ومعاوية ويزيد»!!

١١- لأن حكام إيران لعبوا دورًا رئيسًا في إفشال ثورة الشعب السوري على المجرم بشار؛ بدعم عسكري كامل ومباشر لنظامه، بحزبهم في لبنان « حزب اللات»، وبضباطهم الإيرانيين، وبمرتزقة شيعة أفغان وعراقيين جاءوا بهم.

فأبادوا الشعب السوري؛ حيث قتلوا وهجروا الملايين، وحولوا مدنه العامرة إلى خراب، وأسكنوا مكانهم فرسًا شيعة.

١٢- لأن أمريكا تحالفت مع حكام إيران في سوريا كما العراق، واستخدمتهم لإفشال ثورات الشعوب المسلمة المظلومة على حكامها الظالمين، كما استخدمتهم لإبادة أهل السنة الذين عدّتهم الخطر الحقيقي على مستقبل الغرب.

وصرح قادة الغرب بشكل واضح ومرات عدة: أن أكبر حليف لهم لإبادة الإسلام الحقيقي السني هم: الشيعة، وأن إسلام حكام إيران ليس إسلامًا، وإنما دينٌ حليفٌ لهم، يحقق أهدافهم.

١٣- لأن حكام إيران المتحالفين اليوم مع الصليبيين والملحدين ضد المسلمين أعادوا تمامًا دور الحكام الصفويين؛ الذين حاربوا الدولة العثمانية لأنها سنية، وحالوا بينها وبين فتح أوروبا، وتحالفوا ضدها مع دول الغرب الصليبي، ومع الروس، وأبادوا أكثر من مليون إيراني سني؛ من أجل تحويل إيران من دولة سنية نسبة السنة فيها (٩٠%) إلى دولة شيعية نسبة الشيعة فيها (٩٠%).

١٤- أن هدف حكام إيران: ليس تحرير القدس، وإنما: احتلال بلاد العرب، ونشر التشيع فيها، وقد ظهرت حقيقة أهدافهم بأفعالهم! فهم لم يكتفوا باحتلال العراق وسوريا، وإنما احتلوا عاصمة اليمن بدعمهم للحوثيين، وتفاخر قادتهم بذلك، فصرحوا: أنهم الآن يسيطرون على أربع بلدان عربية: العراق، وسوريا، ولبنان، واليمن، وأن هدفهم الكبير هو: احتلال مكة والمدينة!

١٥- أن حكام إيران يعملون بجد، وينفقون الأموال الطائلة لنشر التشيع في البلدان السنية، وسفاراتهم وملحقياتهم الثقافية تنشط جدًّا في هذا المجال، في جنوب شرق آسيا، وفي الدول العربية؛ خصوصًا التي تعاني من أوضاع اقتصادية وسياسية صعبة.

وقد أغلقت السودان قبل مدة ملحقيتهم الثقافية، وطردت رئيسها وموظفيها؛ لأنها تعمل على تشييع السودانيين، كما نشروا التشيع في الجزائر التي كانت خالية تمامًا من الشيعة.

١٦ - أن حكام إيران الذين يملكون السلاح والمال والجيوش الجرارة لم يوجهوا قوتهم يومًا نحو إسرائيل أو نحو الغرب الداعم لإسرائيل؟! ولكن وجهوها فقط ضد الشعوب التي ترغب في التحرر من الحكام العملاء للأعداء، واكتفوا بيوم للقدس يتظاهرون فيه! وبفتات من السلاح والمال يرسلونه للمقاومة في فلسطين؛ لعلهم يخففون به نقمة الشعوب المسلمة الناقمة عليهم بسبب إبادتهم للمسلمين في العراق وسوريا واليمن.

ومعروف أن كل من أراد من الأوساخ أن يطهر نفسه.. تمرغ في تراب القضية الفلسطينية الطاهر!!

١٧ - أن حكام إيران دعموا الانقلاب على الرئيس مرسي، وانحازوا إلى أعدائه العلمانيين المرتبطين بالشيطان الأكبر، رغم أنهم ارتكبوا مذبحة مروعة في «رابعة»، قتل فيها في يوم واحد أكثر من أربعة آلاف من أخيار وأكفاء وعلماء وأطهار مصر، ولا ننسى كيف كانت فضائيات إيران (الميادين والعالم) وغيرهما يدعمون بكل قوة الانقلاب ويعادون ثورة الشعب المصري المقهور.

وما فعلوا ذلك إلا من منطلق طائفي، فالعربي البعيد عن الدين أحب إليهم من العربي الملتزم بالدين إذا كان سنيًّا!

١٨ - لأن أغلب المسلمين أصحاب مبادئ؛ لا يحبون ولا يثقون ولا يرضون عن من يساعد أحدهم بينما يفتك بإخوانه الآخرين؛ قتلًا واغتصابًا وتعذيبًا وتهجيرًا.

تلكم بعض جرائم حكام إيران التي جعلت المسلمين يبغضونهم ولا يثقون بهم، وهي جرائم لم يرتكبها بحق المسلمين يهود ولا كفار ولا صليبيون!

خلل الإفراط والتفريط: حماس نموذجًا

أسامة شحادة - الفتح (٢٠١٧/٨/١١)

أصدرت حركة حماس بيانًا صحفيًّا في (٢٠١٧/٧/٤) حول زيارة وفدها إلى طهران؛ للمشاركة في حفل تنصيب روحاني رئيسًا لإيران، ذكرت فيه: أن الزيارة تأتي «تقديرًا لما تقوم به إيران من دور كبير في دعم صمود الشعب الفلسطيني، ومناصرة حقوقه، وإسناد مقاومته الباسلة، وتأكيدًا على حرص الحركة على تعزيز العلاقة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية وتطويرها؛ خدمةً للشعب الفلسطيني وقضيّته العادلة».

وهذا الموقف السياسي لحماس من إيران يتركب من عدة أشياء، هي:

- **علاقة مع نظام طائفي وإرهابي وضال دينيًّا**، وحماس تعرف ذلك؛ كما يصرّح قادتها وأنصارها في الجلسات الخاصة، ومواقع التواصل الاجتماعي، ومؤلفات بعض قادة حماس.
- **السكوت على جرائم هذا النظام وحلفائه وأذنابه** بحق الشعب الفلسطيني في العراق (حي البلديات ٢٠٠٣)، وسوريا (مخيم اليرموك ٢٠١٤)، ومن قبل استمرار التضييق على المخيمات الفلسطينية؛ برغم تحكّم حزب الله بلبنان!
- **المدح والتلميع بالكذب والتزييف للنظام الطائفي الإرهابي**؛ الذي ينشر الشرك والضلال، ويقتل الأبرياء في عدد كبير من الدول؛ لترسيخ مشروعه الشيعي الطائفي العدواني التوسعي الاستيطاني على حساب أهل السنة.

ما يجعل هذا المدح خيانة لدماء الأبرياء وعقيدة التوحيد!

وإذا تنزلنا مع حماس في النقطة الأولى، وقبِلنا أنها مضطرة لهذه العلاقة بسبب الحصار والمقاطعة العربية لها، وإذا تفهمنا أن حماس ضعيفة ومحتاجة للدعم الإيراني؛ فلا يمكنها نقد واعتراض جرائم إيران وحلفائها الشيعة ضد الفلسطينيين في النقطة الثانية.

فهل حماس مجبرة على الثناء والمدح الكاذب للإجرام الإيراني والشيعي؟ كيف تكون مجبرة وهي تقول: إن الدعم الإيراني غير مشروط؟

حين انتقدت ذلك على صفحتي بـ (الفيس بوك) هاجمني العشرات من الحمساويين وأصدقائهم، وبعضهم أحبّتي، ورغم أنّي حاولتُ معهم بكل وسيلة للوصول لاتفاق على خطأ هذه السياسة؛ كان الردّ دومًا عتابًا ولومًا، أو شتمًا وسبًّا وتخوينًا، أما النقاش الموضوعي والعلمي فكان غائبًا تمامًا!

وبالمقابل؛ كانت هناك تعقيبات تهاجم حماس بالحق والباطل، حيث شيطنت حماس بالكامل، وأنكرت أي فضل لها أو جهد تُشكر عليه، واعتقد أن هذه التعليقات والآراء ظلمت حماس بذلك كما أن حماس ظَلمت نفسها وشعبها بالمدح الزائف والكاذب لإجرام وطائفية إيران وملالي الشيعة.

وقد ذكّرني هذا الموقف المتناقض من حماس بقول الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: «ليحبّني قوم حتى يدخلوا النار في حبي، وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي». «السنة» لابن أبي عاصم وصحّحه الألباني.

فالغلو في حب حماس والدفاع عنها بالحق والباطل لا يجلب لحماس إلا الشر، ومنه: الغلو في نقد حماس ومهاجمتها وإنكار أي فضيلة لها، والجزاء من جنس العمل!

وما لم تتخلّص الحركة الإسلامية -بمختلف أطيافها- من آفة التعصب؛ حبًّا وذمًّا، فإن خلل التفكير هذا سيكون دومًا معرقلًا لها عن تصحيح أخطائها والاستفادة من النصيحة الصادقة، وتفعيل الشورى الداخلية فيها، وهذا يدخل في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد:٧].

ولنتذكر نتيجة مخالفة الرّماة يوم أحد على نتيجة جهاد النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم.

صراع روحاني مع الحرس الثوري.. اقتصادي بواجهة سياسية

د. محمد السلمي - الوطن السعودية (٢٠١٧/٨/١٠)

مع فوز حسن روحاني بفترة رئاسية ثانية تتعلق أنظار المتابعين للشأن الإيراني بقياس مدى تغير معالجة روحاني للملفات الشائكة التي يواجهها في فترة رئاسته الثانية؛ مقارنة بأدائه في الفترة الرئاسية الأولى.

ومن أولى هذه الملفات: علاقة روحاني بالحرس الثوري؛ التي شهدت تأزمًا كبيرًا لأسباب كان المعلن منها: اختلاف موقف الطرفين حول الاتفاق النووي والبرنامج الصاروخي، لكن في العمق شكلت الهيمنة السياسية والاقتصادية للحرس الثوري على الأوضاع في إيران جوهر الخلاف بينهما.

أشعل روحاني الصراع الذي تم تأجيله أثناء فترته الرئاسية الأولى مع الحرس الثوري بتصريحه حول الدور الاقتصادي للحرس الثوري، واتهمه باستلاب مقدرات الدولة الإيرانية؛ بالاستيلاء على مؤسساتها الاقتصادية تحت دعوى: (الخصخصة)؛ التي أدارها خامنئي خلال العقد الماضي، حيث قال «كان هناك جزء من الاقتصاد الإيراني بيد دولة بلا سلاح تم تسليمه لدولة تحوز السلاح، فهل نستطيع أن نسمي ذلك: خصخصة؟».

الرئيس الإيراني حسن فريدون -المعروف بروحاني- الذي يرتدي عباءة الإصلاحي المعتدل يمتلئ تاريخه بفترات طويلة من العمل داخل مؤسسة الحرس الثوري، من بينها: قائد أركان قاعدة خاتم الأنبياء، وقائد قوات الدفاع الجوي للحرس، وعديد من المناصب العسكرية الرفيعة، لكن مع توليه منصب رئيس الجمهورية برز خلافه مع الحرس الثوري حول معالجة الملف النووي والبرنامج الصاروخي.

روحاني لا يرفض البرنامج الصاروخي، ولكنه لا يريد الصخب الإعلامي الذي يقوم به الحرس الثوري أثناء التجارب الصاروخية، ولا التوقيت السيئ لإجرائها؛ من وجهة نظر روحاني، لأنها دائمًا ما تحدث كردة فعل مضادة للدبلوماسية الإيرانية، وتؤدي بالتالي إلى إفشال خطط روحاني الخاصة بالانفتاح على العالم الغربي؛ عبر واجهته المفضلة: وزير الخارجية محمد جواد ظريف.

وفي المقابل لا يرفض الحرس الثوري الاتفاق النووي؛ لأنه لم يوقع إلا بموافقة من المرشد علي خامنئي ورجاله من قادة الحرس، وإنما يرفض التبعات الاقتصادية للاتفاق النووي عليه، فروحاني يريد فتح الباب للاستثمارات الغربية في القطاع النفطي، وهو ما يرفضه الحرس الثوري المسيطر فعليًّا على هذا القطاع.

في الفترة الرئاسية الأولى لروحاني تعنت خامنئي أمام الصيغة الجديدة للعقود النفطية الإيرانية؛ التي وضعها وزير النفط الإيراني «بيجن زنجنه» لتشجيع الاستثمار الأجنبي في قطاع النفط الإيراني، واشتعل الهجوم سياسيًّا على روحاني، واتهم بالفشل الاقتصادي من قبل المرشد، وتطور الأمر لاتهامه بالتساهل الاقتصادي مع الغرب ضد مصلحة إيران، بغرض: تحقيق مكاسب سياسية، وإنجاح اتفاقه النووي، واتخذت حينها إجراءات تكتيكية من التيار المحافظ للضغط سياسيًّا عليه، كان منها: الدفع بأحمدي نجاد لخوض الانتخابات الرئاسية، وهجوم المرشد على روحاني وحكومته.

وسرعان ما تم تهدئة الأمور بتدخل عدد من كبار الساسة ورجال الدين، كان على رأسهم: رفسنجاني، وناطق نوري، وانتهى الأمر باتفاق يقضي بإبعاد أحمدي نجاد، مقابل تعديل وزاري يعزل وزراء الرياضة والثقافة والتعليم، ويسمح لشركات الحرس الثوري بالحصول على عقود نفطية ضخمة، ولكن في إطار عقود متعددة الجنسيات؛ حتى لا تفشل المشروعات النفطية الجديدة، مثلما حدث في السابق عندما أُسندت لشركات الحرس الثوري منفردة.

وكان الدافع لدى روحاني لقبول هذه الصفقة: رغبته في الحصول على فترة رئاسية ثانية، ومع فوزه في الانتخابات الأخيرة سارع بعقد اتفاق نفطي ضخم مع شركة «توتال» الفرنسية.

هذا الاتفاق أشعل حرب التصريحات بين روحاني والحرس الثوري من جديد، وكانت ذروة هذه المواجهة: التصريح الأخير لروحاني؛ الذي عبر فيه عن بيع مؤسسات الدولة لشركات الحرس الثوري تحت مسمى: (الخصخصة)؛ التي رفع شعارها خامنئي أثناء فترة رئاسة أحمدي نجاد.

روحاني رفع سقف المواجهة مع الحرس الثوري ومع خامنئي؛ حتى يصل في النهاية إلى الحد الذي يرضى به، لأن تلويح روحاني بهذا الأمر يمكن أن يترتب عليه إصدار عقوبات دولية على إيران، وهو ما لا يريده روحاني، وإنما يريد: عقودًا نفطية مع شركات أجنبيه، تتيح له حصول الحكومة الإيرانية على قدر من

العائدات النفطية، بعيدًا عن هيمنة الحرس الثوري على موارد الدخل الإيراني.

لذا؛ كان الاجتماع الأخير الذي ضم كلًّا من روحاني وقادة الحرس الثوري، بالإضافة لقاسم سليماني لتهدئة الوضع، والوصول إلى حل وسط؛ يضمن لروحاني وحكومته الحصول على بعض الموارد المالية التي تمكنه من إدارة خطته الاقتصادية.

ومن ثم؛ الأزمة بين روحاني والحرس الثوري خلاف مالي، بسبب: هيمنة الحرس على الاقتصاد الإيراني، مغلف بنزاع سياسي لن يؤدي إلى تغيير جوهري في موازين القوة داخل إيران.

ذلك؛ لأن روحاني يؤيد ويدعم التواجد العسكري للحرس الإيراني في سورية والعراق، وجميع الأعمال الإرهابية التي يقوم بها الحرس الثوري الإيراني داخل إيران وخارجها.

فيما تعود سوريا إلى لبنان

نديم قطيش - الشرق الأوسط اللندنية (١١/٨/٢٠١٧).

على وقع نتائج معركة جرود عرسال اللبنانية يجتهد «حزب الله» - في الظاهر - لإعادة بشار الأسد إلى لبنان، أو إعادة لبنان إلى سوريا الأسد!

في خطابه الشهير عام (٢٠٠٥)، المؤسس للانقسام اللبناني الأطول بين معسكري «٨ آذار» و«١٤ آذار»، قال حسن نصر الله التالي: «لا يستطيع أحد أن يخرج سوريا من لبنان، ولا من عقل لبنان، ولا من قلب لبنان، ولا من مستقبل لبنان».

والحديث طبعًا عن سوريا الأسد؛ التي بدأ بشكرها يومها حافظًا وبشارًا وجيشًا وشعبًا.

في الأيام والأسابيع الماضية بدأ المحور الذي تدور حوله حركة «حزب الله» العسكرية والسياسية هو: «التطبيع» مع سوريا الأسد.

إعلامه استفاض في تظهير «الإيجابية» السورية؛ حين قبلت دمشق أن تستقبل مقاتلي «النصرة» وعائلاتهم على أرضها.

ونصر الله ونواب حزبه والوزراء لم يتعبوا من تكرار مقولة التنسيق مع الأسد، في ملف النازحين السوريين تارة، وفي العمل العسكري المقبل ضد جيوب «داعش».

وعلى طاولة مجلس الوزراء أعلن وزير «حزب الله» حسين الحاج حسن: أنه ذاهب إلى سوريا للمشاركة في فعاليات معرض دمشق الدولي المتوقفة منذ عام (٢٠١١)، والمستعادة اليوم على وقع تدمير أحياء جوبر القريبة من موقع المعرض؛ لضمان انعقاده بلا قذائف تأتي من هناك!

لا نجح «حزب الله» في استدراج الدولة اللبنانية إلى التنسيق مع جيش وحكومة الأسد، ولا نجح في انتزاع تكليف حكومي لبناني لزيارة وزيره إلى دمشق، ولا في الحقيقة هو معني بالأمرين!

يعلم «حزب الله» أن تعويم الأسد، والعودة بعقارب الساعتين: السورية واللبنانية إلى الوراء مسألة مستحيلة، وإن كان يحتاج للأسد - ولو ظلًا في قصر المهاجرين! - كغطاء لمعركته ومعركة إيران في سوريا.

المسألة - هنا - تتعلق بجغرافيا النفوذ الإيراني على الساحة السورية؛ التي تعج بالروس والأمريكيين والأتراك والإسرائيليين، بلا حضور عربي إلا في «سوريا الشتات»!

عسكريًّا؛ ومن خلال معركة جرود عرسال تخلص «حزب الله» من جيب يزعج طريق دمشق حمص، ويتصل بالامتداد

الجغرافي لشمال العاصمة دمشق، أي: بعضًا من سوريا الإيرانية المفيدة.

وسياسيًّا؛ يحاول أن يعزز ويزيد النفوذ الإيراني داخل حكومة لبنان، باعتباره منطقة صراع ونزاع بين إيران والخصوم أنفسهم الذين تصارعهم وتنازعهم في سوريا.

إنها عملية عسكرية سياسية متكاملة في سوريا ولبنان؛ لتقول إيران: «أنا هنا! وهذه أوراقي على طاولة التفاوض حول سوريا»، في لحظة إقليمية ودولية معقدة.

إيران رضخت لنتائج الحضور الأمريكي المباشر على الأرض السورية، والتزمت، بهدوء؛ بالحدود التي تسمح أو لا تسمح بها أمريكا، وتأكدت من جدية ذلك عبر اختبارات أودت بطائرتين إيرانيتين من دون طيار، وبمجموعة تقاتل إلى جانب الأسد، وترتبط بخبراء الحرس الثوري الموجودين في سوريا.

وهي تراقب بحذر تصاعد التنسيق بين الجيش اللبناني والأمريكيين، ووجود الخبراء، وتطور قاعدة رياق، وغرف العمليات المشتركة، كما ترصد تنسيقًا مماثلًا مع البريطانيين.

في المقابل؛ تستثمر إيران في التغيير الذي يطرأ بارتباك على مواقف الدول من الأزمة السورية، والبناء على نتائج هذه المواقف لتعزيز أوراقها.

منذ سنة تغيرت أولويات تركيا في سوريا، وتصدرتها: أولوية منع ولادة كيان كردي على حساب أولوية إسقاط الأسد.

ومع وصول الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى الإليزيه تبدد عنوان: (إسقاط الأسد) الذي رفعته فرنسا.

واشنطن أعلنت قبل أيام: أنها أوقفت برامج مهمة لدعم المعارضة المسلحة، وانتشرت أنباء مربكة عن احتمال مغادرة الأمريكيين قاعدة (التنف) في سوريا على الحدود مع العراق، سرعان ما نفتها قوات التحالف الدولي ضد «داعش».

وكان سبق موقف لوزير الخارجية الأمريكي ريكس تيلرسون، قال فيه إنه: «لن يكون هناك دور لعائلة الأسد على المدى البعيد»، مشيرًا -ضمنًا- إلى أن رحيله اليوم غير وارد.

ونُسب مؤخرًا موقف لوزير الخارجية السعودي عادل الجبير خلال لقاء له مع المعارضة السورية؛ فُسر خطأً على أنه تهيئة للقبول ببقاء الأسد خلال المرحلة الانتقالية، وليس رحيله في بدايتها؛ كما هو الموقف السعودي التقليدي، قبل أن يعيد مجلس الوزراء التأكيد على «مستقبلٍ جديدٍ لسوريا، لا مكان فيه لبشار الأسد».

زد على ذلك: مواقف عربية كثيرة متوجسة من سقوط عشوائي للأسد، يفاقم الجحيم السوري، ويوسع دائرة ارتداداته على أمن المنطقة واستقرارها.

كل هذه مؤشرات تقدمها إيران على أنها: حاضر ثابت، ومستقبل لن يأتي، وتسعى لاستثمارها في لبنان؛ قبل غيره.

والحقيقة: أن لبنان متروك إلى حد بعيد؛ إعلامه متروك، على ما ظهر في التغطية المشينة لمعركة جرود عرسال، ولبنان ساحة إعلام قبل أي شيء.

الجيوب والتكتلات المناهضة لإيران وسوريا متروكة بلا أي سقف يحميها!

والأخطر: الفكرة الآخذة في التبلور، والقائمة على: أن يُترك لبنان ليحكمه «حزب الله»، ويبنى على الشيء مقتضاه.

العرب غائبون عن سوريا! لكن غيابهم عن المعادلة اللبنانية غير مبرر، والتذرع بأن لبنان لا يقدم الكثير استراتيجيًّا، لا يعني: أن يترك البلد بلا مقومات صمود.

لبنان ليس ساحة لتحقيق الانتصارات على إيران؛ صحيح، لكنه ساحة صمود في مواجهة إيران، بل ساحة الصمود في مواجهة إيران.

تهديد نصر الله الجديد «الفاضح»!

ياسر الزعاترة - الدستور (٢٠١٧/٧/١)

في خطابه الأخير في الجمعة الأخيرة من رمضان، بمناسبة ما يُعرف بـ «يوم القدس العالمي» قدَّم حسن نصر الله مقاربة جديدة لحروب الولي الفقيه، بدت أكثر وضوحًا، وربما فضائحية من المقاربات السابقة التي كانت تتدثر بلبوس الأمة كحالة جامعة.

مع أن الأمر لم يكن يقنع أحدًا، ربما باستثناء بعض من غُيِّبت عقولهم، وربما ضمائرهم -أيضًا- من المحسوبين على الغالبية في الأمة، أعني: أهل السنّة؛ الذين لم ينظروا إلى أنفسهم يومًا كطائفة، وإنما اعتبروا أنفسهم الأمة التي تستوعب جميع أقلياتها.

في الخطاب قال نصر الله: إن أي «حرب تنوي إسرائيل شنّها على لبنان وسوريا لن تبقى محصورة في هذين الميدانين، بل إنها ستفتح الباب أمام انضمام آلاف المقاتلين من العراق واليمن وإيران وأفغانستان وباكستان، وبقاع أخرى في العالم».

هنا والآن؛ يتحوّل محور ما يُسمى: «المقاومة والممانعة» إلى محور مذهبي (شيعي)، وليس محورًا للأمة، ولاحظوا أنه تحدث عن حرب على سوريا ولبنان، لأن الحرب على الشعب الفلسطيني قائمة عمليًّا؛ باحتلال أرضه، وتهويد مقدساته، لكنها لا تستحق الرد! وليست ضمن حروب الولي الفقيه؛ إلا في سياقٍ من الاستغلال لترويج المشروع الأصلي.

الدول التي تحدث عنها بالاسم لم تُذكر سهوًا، بل كانت مقصودة؛ لأنها فيها أقليات شيعية (أغلبية كما يرون في العراق، وقد يضيفون اليمن، معتبرين أن الزيدية شيعة -أيضًا-، مع أن الحوثيين الاثني عشرية أقلية).

ولكي لا يدع مجالًا للشك في الدلالة؛ كانت وقفته عند اليمن بالقول: إن ما سمّاه العدوان عليه (قال: على الشعب اليمني، كأن من يقاومون الحوثيين والمخلوع من شعوب الواق واق!!)، سببه «أنه (الشعب اليمني) يقف إلى جانب فلسطين»، وهي مقولة تثير السخرية! بل أقصى درجات السخرية!! لأن الحوثيين لم يكونوا أكثر انحيازًا لفلسطين من السنّة أو الزيدية في اليمن، وإن تاجروا بشعار «الموت لأمريكا.. الموت لإسرائيل».

هكذا يفصح نصر الله الذي طالما أعلن أن خامنئي هو «وليه الفقيه»، بل «ولي أمر المسلمين» -حسب تعبيره- يفصح الآن: أن محور المقاومة والممانعة الذي يتحدث عنه هو: محور شيعي، وأنه: مشروع طائفي بامتياز، وأن هذا المحور: «يتمدد» -بتعبيره-، وأن على العالم والإقليم أن يتعامل مع هذه الحقيقة، مع التذكير بأنه محور يهاجم فقط في المحيط الإسلامي، لكنه يكتفي بالرد فقط حين يتعلق الأمر بالكيان الصهيوني.

بعد الخطاب مباشرة ضرب الصهاينة مرتين أو ثلاثًا في سوريا، لكنّ ردًّا لم يحدث من قِبَل النظام السوري، ولا من قِبَل نصر الله وأتباعه الكثر في سوريا! وهذا دليل جديد على أن: أولوية نصر الله لا صلة لها بمواجهة إسرائيل، ولا بتحرير فلسطين، وما هو سوى جندي في مشروع خامنئي؛ الذي يستعيد ثارات «مذهبية»، ويريد إعادة النظر في حقائق التاريخ والجغرافيا في المنطقة، ولن يتم الرد على الصهاينة إلا إذا تم التأكد أن ذلك

سيصب في صالح المشروع.

كان على أدعياء المقاومة والممانعة -من المحسوبين على الغالبية في الأمة- أن يتأملوا جيدًا في خطاب نصر الله الجديد؛ كي يتأكدوا أنهم خارج حساباته، وإذا دخلوا فيها فمن باب التبعية ليس إلا، وأن مشروع خامنئي ونصر الله والحوثي و«الحشد» والبقية؛ لا صلة له بمواجهة أمريكا وإسرائيل، بل هو مشروع للتمدد والسيطرة على أسس مذهبية؛ لا أكثر ولا أقل!

تدويل الحج

د. بسام العموش - مدار الساعة (١٤/٨/٢٠١٧)

لست مكلفًا من أية جهة كي أكتب تحت هذا العنوان، ولكن قناعاتي الدينية والسياسية تفرض علي ذلك، فدعوة تدويل الحج قال بها النظام الإيراني والقذافي لأسباب يعلمها الجميع، فمنذ مجيء خميني عام (١٩٧٩) للسلطة تحدث عن تصدير الثورة، وهذا يعني: أنه يحلم بالسيطرة على العالم الإسلامي، في تناس تام أن أغلبية المسلمين هم سنة لا شيعة!! فربما طمع بوجود تابعين لنظامه من السنة بل حتى من المناوئين للدين أصلًا؛ كما نرى اليوم!!

ولا شك أن الحرمين في مكة والمدينة يشدان المسلمين في العالم، لهذا راح يعلن: أن الحج موسم لإعلان البراءة من المشركين! ولهذا أمر بالتظاهر في الحج ورفع شعار «الموت لأمريكا»، في محاولة لاستقطاب المسلمين من شتى بقاع العالم؛ فالحج فرصته في هذا التجمع الفريد!

وقد كانت تلك المحاولة واضحة في تسييس الحج؛ الذي هو ركن من أركان الإسلام، حيث رحلة العمر بالنسبة للمسلم، يحط عن كاهليه الآلام والماديات والسياسة وكل ما يتعلق بالدنيا، فقد لبس الكفن ليعلن لله ﷺ أنه جاء تائبًا منيبًا، راغبًا في عفو الله وكرمه.

أرادت إيران ومعها قذافي لأسباب سياسية تحويل الحج إلى موسم سياسي، متناسين أن الحجيج من بلاد مختلفة، ومن المؤكد أنهم يحملون وجهات نظر قد تختلف؛ وهو الغالب، فهل الحج مساحة لهذا؟ وهل الحج سيقود المسلمين للاتفاق فيما بينهم على مسائل شائكة وتقديرية؟؟ وإذا كان الصيد ممنوعًا في الحج؛ فهل مصادمة المسلم لأخيه جائزة؟ وهل حضر لهذا المكان ليقوم بذلك؟ في الحج يمنع الجدل والفسوق «الكلام القبيح»؛ فكيف سيحقق الحاج ذلك بينما ستعلو فوق رأسه الشعارات السياسية؟

ولو افترضنا -جدلًا- أن اتفق المسلمون على تدويل الحج؛ فهل سنحضر قوات عسكرية وأمنية من (٤٦) دولة؟ أم نحضر قوات أجنبية؟ هل نجلب الحرس السويسري؟ من يقول بذلك؟!

وماذا لو اختلفت قوات هذه الدول الإسلامية، وتواجهت بالقوة المسلحة؟ ماذا سيحدث للملايين الذين جاءوا طالبين رحمة الله ومغفرته؟ هل تحضر قوات عربية أو خليجية؟

وفي النهاية: ما فائدة ذلك؟

إن فكرة (التدويل) فكرة يتمناها أعداء الأمة؛ لأنهم سيفرحون كثيرًا إذا رأوا أمة الإسلام تقتتل في عقر دارها، فلنُعلِ الصوت برفض ما تريده إيران، لأن هذا يعني: المزيد من الدمار في أقدس بلاد المسلمين.

هذه أبرز صور التنافس الأمريكي الإيراني على النفوذ بالعراق

مصطفى الدليمي - عربي٢١ (٢٠١٧/٨/١٤)

عـززت الإجـراءات الأمريكيـة ضـد مليـشيات عراقيـة قـرب الحـدود مـع سـوريا، والتطـورات الـسياسية عـلى الساحة العراقية: تكهنات سياسية تحدثت عن تنافس أمريكي إيراني على النفوذ بالعراق، في مرحلة ما بعد تنظيم الدولة.

وبحـسب مـا فـسر محللـون سياسـيون في حـديث لــ «عربي ٢١» فإن التنافس بين واشنطن وطهران على النفوذ في العراق خلال المرحلة المقبلة يظهر جليًّا في الملفين: العـسكري، والسياسي.

◘ الملف العسكري:

ولعل آخر إجراء عسكري أمريكي هـو: قـصف مليـشيا «كتائب سيد الشهداء» الموالية لإيـران، الاثنـين المـاضي، قـرب الحدود العراقية السورية، مـا أسـفر عـن مقتـل (٣٦) عنـصرًا، وإصابة (٧٥) آخرين؛ بحسب بيان للكتائب.

وفي الوقـت الـذي نفـت فيـه القـوات الأمريكيـة عـلى لسان ريان ديلون -المتحـدث باسـم قواتها في العـراق- وقوفها وراء الضربة، فقد أعلن تنظيم الدولة مسؤوليته عـن الهجـوم، مؤكـدًا مقتـل (٦٨) عنـصرًا عـلى الحـدود العراقيـة السورية.

وقبـل نحـو شـهر ونـصف: تعرضـت «كتائـب سـيد الشهداء» ذاتها إلى ضربـة جويـة أمريكيـة، قـرب الحـدود العراقيـة الـسورية، مـا أسـفر عـن وقـوع قتيـل، وإصـابة ستة آخرين؛ بحسب بيان لها.

ووفقًا لمراقبين؛ فإن مـا يثبـت سـعي أمريكـا لوضـع حـد لتحركات مليشيات المرتبطة عقائديًّا بإيران (بحـسب مـا أقـرّ زعيمها أبو الولاء الولائي)، هو: الضربات المتكررة لها.

وتعليقًا على الموضوع؛ فقد قال رئيس الوزراء حيـدر العبـادي في تـصريح لـه: أن التحـالف الـدولي الـذي تقـوده الولايات المتحدة لا يمكن أن ينفذ ضربات جوية دون موافقة الحكومة العراقية.

لكن نائب الرئيس العراقي نوري المالكي دعـا إلى فـتح تحقيق عاجل بحادثة استهداف ميليشيا «كتائب سيد الشهداء» على الحدود العراقية السورية، ومحاسبة مرتكبيها.

ووصف المالكي القصف بأنـه: «اعتـداء غـير المـبرر مـن التحالف الدولي على قاطع العمليات ضـمن الحـدود العراقيـة الـسورية»، متـسائلًا عـن «أسـباب تكـرار تلـك الاعتـداءات؛ بالتزامن مع الانتصارات ضد داعش!».

وحول هذا الموضوع؛ كـشف مـصدر سـياسي مقـرب مـن تحـالف القـوى العراقـي (الـسنة) لــ «عـربي٢١»: أن «رئيس الوزراء حيدر العبادي، ورجل الـدين مقتـدى الـصدر يسيران في الخط الأمريكي، بعيدًا عن إيران».

◘ الملف السياسي:

وعـلى صـعيد مـا تـشهده الـساحة العراقيـة مـن حـراك سياسي؛ فقد أعلن عمار الحكيم، الاثنين الماضي: تركـه لرئاسـة

المجلس الأعلى (الذي تأسس في إيران عام ثمانين)، وتأسيس تيار «الحكمة الوطني».

ولكن ما أثار الاستغراب في هذه الخطوة هو: سرعة إعلان الحكيم انفصاله عن تيار يوصف بأنه النموذج الإيراني في العراق، كونه يؤمن بمبدأ «ولاية الفقيه» كنظام للحكم في البلاد.

وقال المحلل السياسي الدكتور عدنان التكريتي في حديث سابق لـ «عربي٢١»: إن «إيران تواجه تحدي النفوذ مع الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، وهي عادة لا تستسلم، وإنما تساير الوضع؛ بأي طريقة كانت!».

وأوضح: أن إيران نجحت في أن تقدم السياسي العراقي (الشيعي) الراحل أحمد الجلبي لأمريكا؛ ليكون رجلها الأول في العراق؛ وهو الذي لعب دورًا كبيرًا في احتلال العراق.

وبالتزامن مع انشقاق الحكيم؛ فقد فاجأ زعيم التيار الصدري العراقي مقتدى الصدر إيران، بزيارة إلى المملكة العربية السعودية، التقى خلالها بولي العهد السعودي محمد بن سلمان.

فقد وصفت صحيفة «فايننشال تريبيون» الإيرانية -الصادرة بالإنجليزية- زيارة الصدر إلى السعودية بأنها: «خطأ إستراتيجي؛ سيندم عليه!»، لافتة إلى أن: «الصدر يحاول بهذه الزيارة: تعويض تراجع تأثير مليشيا «سرايا السلام» في العراق».

وردًّا على ذلك؛ فقد قال صلاح العبيدي -المتحدث باسم الصدر- في تصريح سابق لـ «عربي٢١»: إن «الصدر يعلم يقينًا: أن زيارته إلى السعودية ستشكل ردودًا سلبية في الحاضنة الشيعية، وهو مستعد لمواجهة ذلك».

من جهته؛ قال المصدر المقرب من تحالف القوى -الذي فضل عدم كشف هويته-: إن «هناك مرحلة جديدة قادمة، وستشهد الحياة السياسية العراقية تغيرات كثيرة. **أمريكا عائدة للعراق،** وستتعامل مع تحجيم النفوذ الإيراني؛ لا إنهاءه».

لافتًا إلى أن: «إيران ستعمل على احتواء الموقف بسياسة ذكية؛ تبقي لها الكثير من نفوذها».

وأضاف: «ربما نجد تراجعًا إيرانيًّا سياسيًّا بعض الشيء، ولكن مشروعها الديني والمجتمعي والفكري للهيمنة على العراق سيبقى؛ مهما تغيرت إشكاله!».

مرجحًا: «تراجع إيران تراجعًا سياسيًّا ملحوظًا مسيطر عليه، وسيتوافد أنصار إيران على أمريكا لتقديم استعداداتهم للتعاون.

سنشهد انشقاقات قادمة، وهي ضرورية ليتكامل المشهد».

ورأى المصدر: أن «إيران ستنتظر قدوم الدعم الاقتصادي للعراق لكي يخرج العراق من أزمة الاضطرار للوجود الأمريكي، و سيكون هناك إعداد لمواجهة مع الوجود الأمريكي ذات طابع عسكري؛ إذا اضطرت لذلك».

وأشار إلى أن: «إيران سترکز على نفوذها داخل المجتمع وعلى علماء الدين الشيعة، كما ستستقطب تيارات وشخصيات سنية وكردية تتحكم بهم روح التنافس مع الآخرين».

وتوقع المصدر: أن «يتصاعد الضغط الإيراني على السعودية وربما غيرها؛ لمزيد من إرباك للوضع السعودي، وستكون هناك عملية استقطاب للمتطرفين السنة والشيعة في السعودية؛ لاسيما أن الأخيرة اتخذت مسارًا علمانيًّا».

ووصل زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر الأحد إلى أبو ظبي، قادمًا من النجف، على متن طائرة إماراتية خاصة، والتقى فور وصوله بولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد.

وتأتي زيارة «الصدر» بعد أقل من أسبوعين على زيارة رسمية أجراها إلى السعودية، في تحول ملفت للعلاقات بين أحد الأطراف الشيعية العراقية والدول الخليجية.

وكشف وزير الدولة للشؤون الخارجية الإماراتية أنور قرقاش، الاثنين: عن تحرك ثلاثي خليجي تجاه العراق، وذلك عقب زيارة لزعيم التيار الصدري العراقي مقتدى الصدر إلى أبو ظبي، ولقائه بولي عهدها محمد بن زايد.

وقال قرقاش في تغريدات له على «تويتر»: إن «التحرك الواعد تجاه العراق الذي يقوده الأمير محمد بن سلمان بمشاركة الإمارات والبحرين: مثال على تأثير دول الخليج متى ما توحدت الرؤية والأهداف».

من صوفها اكتفها

د. فراس الزوبعي - الوطن البحرينية (٢٠١٧/٨/٩)

البدو يقولون: «من صوفها اكتفها»، أي: اغزل من صوف الغنم حبلًا واربط الشاة به، وهو مثل يقال كناية عن تسيير الأمور، وتحقيق أفضل النتائج باستخدام الموارد المتاحة من الأمر نفسه؛ دون الإنفاق عليه.

لكن واقع حال العرب أصحاب المثل غير ذلك! وعلى عكسهم الفرس الذين عملوا بهذا المثل؛ فنفوذهم يتعاظم في أفغانستان، ونجحوا في جعل العراق تابعًا لهم، ويقاتلون في سوريا واليمن بغير رجالهم وأموالهم.

نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية قبل أيام قليلة تقريرًا يبين: أن نفوذ إيران في أفغانستان يتصاعد من خلال حركة طالبان، وفي الوقت نفسه يتراجع نفوذ الولايات المتحدة؛ لا سيما بعد تصريح الرئيس ترامب برغبة بلاده في الانسحاب من أفغانستان بعد (١٦) سنة، مع غياب الأدوار الإقليمية هناك.

وذكر التقرير جزئية مهمة وهي: أن إيران شجعت تجارة المخدرات.

وإذا أردنا أن ننظر للمشهد من زاوية أبعد؛ سنجد الآتي: إيران وضعت يدها في العراق وأفغانستان دون أن تخسر شيئًا منذ البداية، لأنها وببساطة استغلت التغيرات التي أحدثتها أمريكا في العراق وأفغانستان؛ عندما أسقطت أمريكا نظام الحكم في البلدين، فقد كانت على عداء مع العراق لأنه

كان عقبة في طريقها، ومع نظام طالبان لأن إيران الشيعية لا تقبل بدولة طالبان السنية.

ولذلك؛ سهلت لأمريكا غزو البلدين، وبعد ذلك دعمت طالبان عسكريًّا وماديًّا؛ من خلال السلاح والعناصر الأفغانية في إيران، لتبدأ طالبان باستنزاف القوات الأمريكية، ولا شك أن ذلك يأتي لصالح إيران.

وفي الوقت نفسه؛ شجعت تجارة المخدرات؛ التي تزرع في أفغانستان، وتمررها إيران عبر أراضيها إلى العراق؛ الذي نشرت فيه تعاطي المخدرات بعد أن كان خاليًا من التعاطي، وأيضًا جعلته ممرًا لمخدراتها إلى دول أخرى، ومن ريع هذه التجارة تمول بعض أنشطتها.

أما في العراق؛ فهي تحكم وتقاتل بعراقيين تابعين لها وبأموال البلد نفسه.

وفي سوريا؛ لديها ميليشيات، وعلى سبيل المثال: ميليشيا «فاطميون» المؤلفة من أفغان أدخلتهم إيران إلى العراق بدون جوازات سفر؛ بعدما اجتاحوا البوابات الحدودية، لنكتشف بعد فترة أن قائد «فيلق القدس» بالحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني أشرف على تدريبهم، ووصلوا إلى الحدود العراقية السورية عند معبر «التنف».

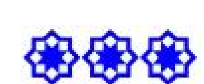
واليوم تتفاخر ميليشيا «حزب الله» العراقي بأنها أجهضت الهدف الأمريكي في السيطرة على الحدود العراقية السورية وجعلته ينكفئ إلى الحدود الأردنية.

أما في اليمن؛ فتقاتل بيمنيين تابعين لها، وليس بجيش إيران.

المحصلة: أن إيران تعبث بأفغانستان واليمن والعراق وسوريا ولبنان، بغير أبنائها وأموالها، فهي تمارس الإرهاب وتدعمه في بلداننا بأموالنا وأبنائنا!

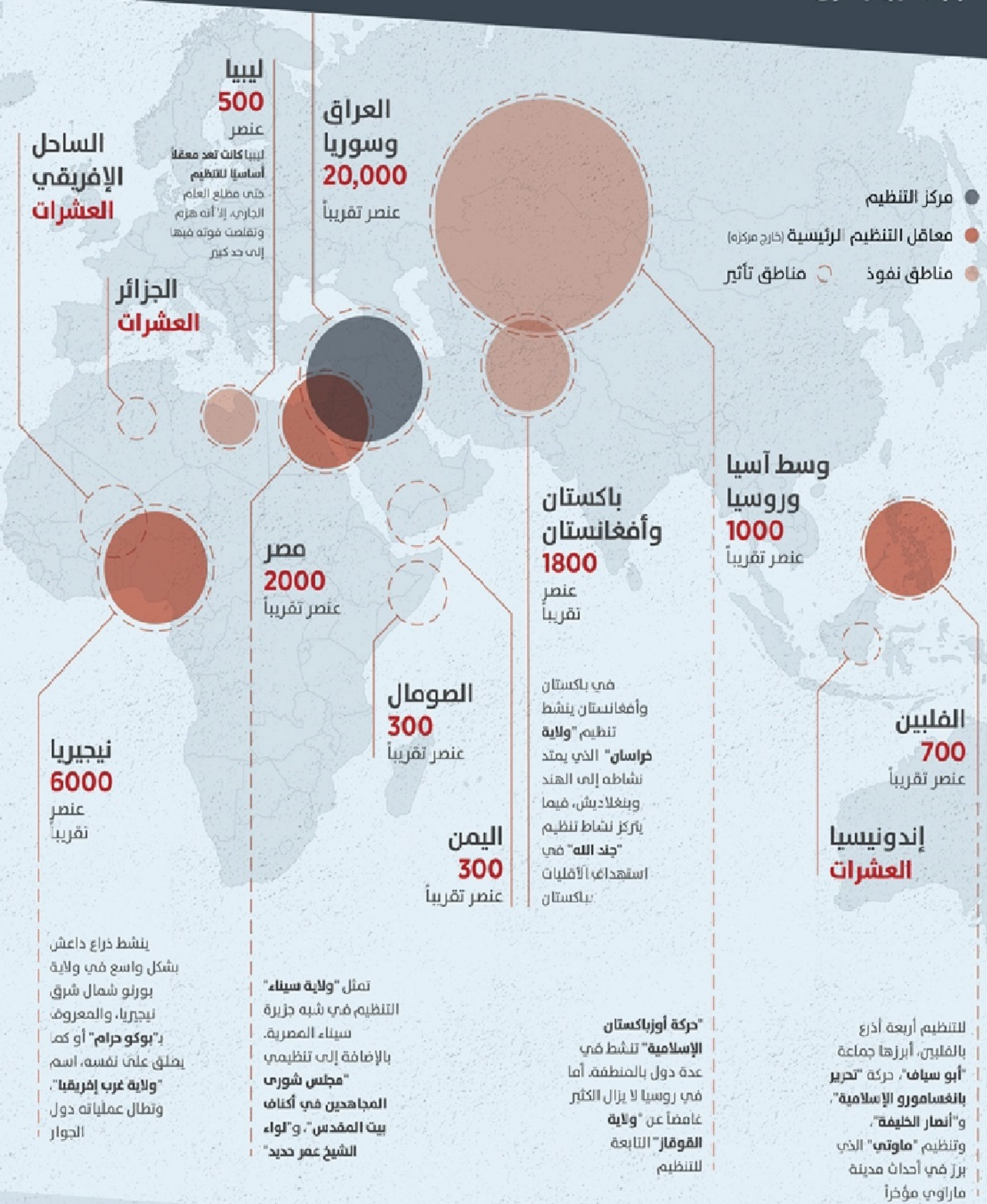
وهو ما يفسر لنا قدرة: إيران على الاستمرارية في هذا الجانب.

لذلك؛ هي تطبق عمليًّا المثل القائل: «من صوفها اكتفها».



خريطة نشاط أذرع "داعش" عالميًا بعد الموصل

شهدت الآونة الأخيرة نشاطًا ملحوظًا لأذرع التنظيم في عدة دول، وسط مخاوف من انتقال المزيد من عناصره إليها، بعد تشديد الخناق عليه في مركزه بسوريا والعراق



قد يسعى **"داعش"** لزيادة نشاطه خارج سوريا والعراق **بحثًا عن موطئ قدم جديد**، أو **لتخفيف الضغوط التي يتعرض لها**، وربما **لتحقيق إنجاز يستثمره** لاجتذاب المزيد من العناصر

كما لا يخلو الأمر من احتمال وجود تضخيم من حكومات **تسعى لاستلام ورقة "الإرهاب"** من بغداد ودمشق، قبل احتراقها تمامًا لديهما